الحصاد

AL-HASAD Issue No: 114 / March 2021 | العدد ١١٤ / آذار ٢٠٢١ | مجلة شهرية تُعنى بقضايا الوطن العربي والعالم

عمل رائع لمخرج فقدناه كان يدرك
ماذا يعمل دون طبل او شعارات

فلسطين
وحكاية ماجرى من خلال
التغريبة الفلسطينية

الحصاد

AL-HASAD

العدد ١١٤ - آذار ٢٠٢١ . Issue No: 114 - March 2021

مجلة شهرية، تجعل من قضايا الوطن العربي والعالم محط اهتمامها، ماضياً، حاضراً ومستقبلاً

تصدر في لندن عن شركة Candour Communications Ltd.

رئيسة مجلس الإدارة ورئيسة التحرير:

إبتسام محمد سعيد أوجي

أعضاء مجلس الإدارة:

د. مازن الرمضاني

أمين الغفاري

المدير الفني:

حسين حمّود

ثمن النسخة :

٣ جنيهات سترلينية او ما يعادلها

الاشتراك السنوي :

٣٠ جنيهاً سترلينياً

مكتب بيروت

+٩٦١٤٥٥٥٩٠٠

مكتب دمشق

+٩٦٣١١٢٢٢٤٦٩٩

مكتب عمّان

+٩٦٦٢٤٦٨٠٠٦٢

"Al-Hasad" Head Office:

Lincoln House,
137-143 Hammersmith Road,
London W14 0QL (UK)
Telephone: 00 44 (0) 2076027055
00 44 (0) 7956229072
Fax: 00 44 (0) 2076035533
E-mail: info@alhasad.co.uk
Website: www.alhasad.co.uk

في هذا العدد

ص

قضايا سياسية ١٠
الانتخابات المُبكرة وغموض المستقبل العراقي

قضايا إقتصادية ١٦
التضخم شوكةٌ في «جسد» اقتصاد تركيا

مستقبلات ١٨
منظمة الأمم المتحدة ومشاهد مستقبلات الحاضر في عام 2030

موضوع الغلاف ٢٨
فلسطين وحكاية ماجرى.. من خلال التغريبة الفلسطينية

منحنيات ٤٠
العولمة والغذاء

كلمة «الحصاد»

للحب عيد

عرفنا الحب في اللحظة التي تنفسنا فيها هواءً خارج أرحام امهاتنا، او قبل ذلك.. عرفناه باحتضانهن لنا.. برعايتنا.. بشغل ايامهن على راحتنا وبسهر لياليهن للاطمئنان على هدوء نومنا وصحتنا.

عرفناه بحنوّ ابائنا وتعاطف أقاربنا وجيراننا. عرفناه مع زملائنا وأصدقائنا في مراحل حياتنا المدرسية او العملية.. ولم نتساءل عن الحب.. كيف ومتى جاء.. وهل وجب علينا الاحتفاء والاحتفال به كحدث خارجيّ ؟ ام انه حاجة خلقها الله في نفوس كل مخلوقاته تظهر وتترجم بشكل طبيعي في سلوكها منذ بدء الخليقة والى ان يرث الله الارض وما عليها؟.

يعبّر الانسان عن حبه ومشاعره بكلمات او افعال قد تكون بامور كبيرة او لفتات صغيرة لا يُستغنى عنها.. الا ان للمخلوقات الاخرى أساليب وطرق تعبّر بها فنراها ونحمد الله ونسبحه على خلقه.

ألم نلاحظ القطة الوالدة حديثا وهي تقدم الطعام لصغارها ولا تقربه الا بعد ان يشبعوا وان كانت جائعة؟ ونشاهد الدجاجة تذود عن فراخها وتحميهم وان تعرضت للموت؟. حتى الشجرة المثمرة تنحني وتجعل من اوراقها غطاءً يحمي الثمرة حتى تنضج ؟ كل هذا هو الحب ؟، فهل أفلس المجتمع الإنساني فأوجد له يوما في السنة كي يتذكر انه يجب ان يحب؟.

أبداً.. فالشباب الذي يضحي بحياته من اجل حرية بلده.. هذا حب.. وان يرفض اغلب الشعب العربي اتفاقيات الذل والهزيمة مع الكيان الصهيوني. هذا حب.. ان يهاجر البعض من بلاده خوفا على حياته واولاده ثم يتمزق ألما وحزناً كلما شاهد او سمع بمأساة تحصل في بلاده على أيدي من احتل او استعبد شعبه بشكل او باخر.. هذا حب.

ان يوقّع مئات الصحفيين والاعلاميين المصريين على تجديد العهد بعدم قبول التطبيع مع اسرائيل رغم مرور اكثر من أربعين سنة على اتفاقيات (كمب ديفيد).. فهو تعبير يشهد لهم بحبهم لمصر وللأمة العربية وإيمانهم بحق الفلسطينيين في ارضهم ومزارعهم وبيوتهم.. هو حب يوجه بوصلته في الاتجاه الصحيح ، بوصلة الحق والحريّة والكرامة لكل الارض العربية من المحيط الأطلسي وحتى الخليج العربي.

وللامانة فان شعب مصر وطليعته من المثقفين والصحفيين والاعلاميين والفنانين لم يخذلوا الأمة العربية على مرّ عصور التاريخ وحين كانوا في مركز القيادة اوفوها حقها رغم المؤامرات التي دُبرت له.

وان نحيي شعب مصر بوقفة طلائعه من القضية الفلسطينية فهذا تعبير منا عن حبنا لمصر ولكل بلد عربي. ■

إبتسام

الحصاد

عزيزي القارئ

تفتح مجلة الحصاد ابوابها لأستقبال اجتهاداتكم وأرائكم واقتراحاتكم الفكرية والسياسية والأدبية وكذلك تعقيباتكم على الآراء التي تنشر على صفحاتها وإن كان ذلك يتطلب مراعاة الأعتبارات التالية:

- أن تكون لغة التحرير هي اللغة العربية التي تصدر بها المجلة وان يراعى في الكتابة الوضوح وسلامة النص.
- ان تتصف المقالات والدراسات بالموضوعية.
- يجوز للمجلة مراجعة الكاتب ان تضمن المقال بعض الأشارات الملتبسة أو التي لاتتفق وأهداف المجلة.
- ترحب المجلة بالحوارات الموضوعية والتعقيبات التي تنشر بها وكذلك بأي ردود فكرية او تصويب وهي فضلا عن ذلك ترحب بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات التي تعقد هنا او هناك.
- المقالات والدراسات المنشورة تعبر عن رأي اصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

زوروا موقعنا على الرابط:

www.alhasad.co.uk

جدل بين باريس وطهران بانتظار جلاء سياسة بايدن في الشرق الأوسط

لبنان في سجال الخليج وإيران!

محمد قواص*

ليس جديداً في تاريخ لبنان الحديث أن مسألة الاستقرار وعدم الاستقرار لا تعود فقط إلى معطيات داخلية بحتة. صحيح أن الفسيفساء الاجتماعية والطائفية هي باب من أبواب تعقد الشأن السياسي في البلد، لكن الصحيح أيضا أن البلد، وعلى الرغم من الغرور الذي يصيب أهله ونخبه السياسية، صغير في مساحته الجغرافية وثقله الديمغرافي وانتاجه الاقتصادي، على النحو الذي يجعله حكما، شأنه في ذلك شأن كافة الدول الصغيرة في العالم، مرتهناً لمزاج الجوار ولقوة التحولات والحسابات الخارجية.

على هذا تعلق مصير لبنان في التاريخ الحديث تارة بموقع فرنسا وتارة بصعود مصر الناصرية وتارة بقوى اليسار والايديولوجيات القومية في دمشق وبغداد وغيرها، ويتعلق هذه الأيام بكل التوازنات المتضادة بين الخليج وإيران وأميركا وأوروبا وروسيا وإسرائيل وربما قوى صغيرة وكبيرة أخرى .بيد أن كافة تلك العوامل تنتظر جلاء الهوية السياسية لإدارة الرئيس الأميرمي جو بايدن في واشنطن.

واشنطن وإيران

ليس شيئاً دقيقا استشراف السياسات التي ستعتمدها إدارة الرئيس جو بايدن بعد تنصيبه بناء على ما صدر عنه وعن المقربين منه إبان الحملة الانتخابية .وليس اكتشافا أن المواقف قبل الانتخابات الرئاسية تستثمر في السياق الانتخابي وتوظف في ما من شأنه استدراج أصوات الناخبين، فيما قرارات الرئيس تتخذ وفق معطيات الدولة ومصالح البلد، وتأخذ بعين الاعتبار التزامات ساكن البيت الأبيض بصفته رئيس كل الأميركيين وزعيم الدولة الأكبر في العالم.

غير أن أمام جو بايدن في تعامله مع ملف إيران وقائع أخرى أكثر قسوة من كلام يسوقه مرشح للانتخابات الرئاسية شغل يوما منصب نائب الرئيس الأسبق باراك أوباما، مهندس الاتفاق النووي .ولن يتأخر الرئيس الجديد وفريقه في استنتاج أن مقاربة أحد أكثر الملفات الدولية تعقيداً، لا تمر وفق منهج فكري متناسل من «عقيدة» أوباما، بل وفق الإقرار بالمسلمات التي باتت أمرا واقعا يتجاوز رؤى بايدن واستراتيجيات الولايات المتحدة نفسها.

والواضح أن دونالد ترامب أرسى قواعد في السياسة الخارجية للولايات المتحدة باتت إرثا ثقيلا يصعب شطبه بمجرد دخول رئيس جديد إلى البيت. والجل الأعظم مما انتهجه الرجل في السياسة مع العالم ينهل مشروعيته من خطط المؤسسات الأميركية، سواء في جوانبها العسكرية الأمنية، أو تلك السياسية الدبلوماسية الاقتصادية.

في هذا الصدد فإن انسحاب ترامب من الاتفاق النووي عام 2018 لم يكن خيار رجل العقارات دونالد ترامب، لكنه بات كذلك حين تحول إلى مرشح للانتخابات الرئاسية عام 2016 ينهل خطابه من زاد ما تمليه المؤسسات وتجده مصلحة أميركية .ولم يتمرد الرئيس المنتهية ولايته على السياسة الخارجية لأميركا، بل عبر عنها، بأسلوب جلف مختلف، سواء في مقاربة برنامج إيران النووي أو في التعامل مع كوريا الشمالية كما التعامل مع أوروبا والأطلسي وروسيا والصين.

سيكتشف بايدن ذلك سريعا، وسيستنتج في مراجعة بسيطة، أن سلفه عاد سريعا عن قراره الانسحاب من سوريا حين عارضته المؤسسات، وأنه التزم بحدود الضغط على إيران، مكتفيا بعملية عسكرية نوعية باغتيال قاسم سليماني، متجاوبا مع استراتيجية المؤسسة العسكرية بعدم الذهاب باتجاه حرب كبرى ضد إيران، وإن الرجل، لأسباب أميركية ربما لا يدركها، تَدرّج في عقوباته ضد هذا البلد بما لا يُسقط نظامه، بل يحوله إلى هيكل مكشوف من الواجهات العسكرية والميليشياوية.

واشنطن ـ طهران: لعبة الأمر الواقع

ولئن سيجد بايدن نفسه أمام «أمر واقع» أميركي جديد في هذا الملف مختلف عن ذلك الذي طوره وسعى وأوباما إليه مع إيران، إلا أنه سيصطدم بـ«أمر واقع» ميداني آخر بات على واشنطن أن تأخذه بالحسبان، وربما الامتثال لحقيقته.

والحال أن ما يشهده شرق سوريا مؤخرا من ضربات إسرائيلية شاملة وموسعة ضد مواقع وتحصينات إيران وميليشياتها، يفصح عن إرادة تعبر عنها إسرائيل بالنار لإزاحة الحضور العسكري الإيراني في سوريا، تجري وسط صمت عربي تركي روسي صيني يوحي بتقاطع مصالح متعددة لوقف تمدد طهران وقطع سبل جماعاتها في الجوار.

بالمقابل يعبر الموقف العربي المتطور عن إدراك لفرض «أمر واقع» وجب على إدارة بايدن الانتباه إليه .تود المجموعة الخليجية بعد قمة العلا أن يكون لبلدان المنطقة الكلمة الفصل في مستقبل أي تطور في علاقة واشنطن بطهران .بدت أيضا تصريحات السفير المصري في واشنطن لافتة في هذا الصدد تعكس تطورا نوعيا داهما في موقف القاهرة .وينشط تواصل عربي عربي للوصول إلى موقف واضح لا لبس فيه، في شأن الحاجة إلى تخليص المنطقة من" الاستثناء "الإيراني وهو المصدر الوحيد لحالة العبث والفوضى في دول مثل اليمن ولبنان والعراق، كما حالة تعذر الوصول إلى أي تسوية مقبولة دوليا في سوريا.

وإذا ما كانت دول المنطقة، على اختلافها، تحاول فرض «أمر واقع» لا يمكن لواشنطن الالتفاف عليه، فإن إيران بدورها، وقد أدركت هذا التحول، ذهبت في الأسابيع الأخير إلى عرض «أمرها الواقع» على الإدارة الجديدة في واشنطن ورئيسها.

لا يهم طهران مستوى الخسائر التي تتكبدها قواتها وميليشياتها في سوريا، بقدر اهتمامها بعرض انتشارها في دول المنطقة (العراق، سوريا، لبنان، اليمن) ومياه الخليج الدولية، وقدرتها على امتلاك أدوات التدمير والتعطيل والتخريب، حتى وإن كانت تدرك استحالة انتصارها في أي من معاركها المرتجلة.

ووفق سياق التوق لفرض «الأمر الواقع»، ترفد إيران جهودها الميدانية (مناوراتها العسكرية مثالا)، بمروحة من المواقف والتصريحات الصادرة عن كل الطبقة الحاكمة، ابتداء من المرشد مرورا برئيس الجمهورية

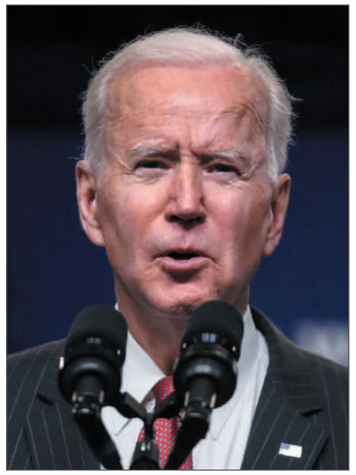

جو بايدن.. حذر حيال العلاقة مع إيران

ووزير خارجيته انتهاء بجنرالات الحرس الثوري، تكرر رفض التفاوض حول البرنامج النووي قبل رفع الولايات المتحدة لعقوباتها، كما الرفض الكامل لأي مفاوضات تطال ملف برنامجها للصواريخ الباليستية، لا بل تعرض في الأسابيع الأخيرة فعالية وأخطار هذه الصواريخ، سواء في ما استهدف السعودية وما استخدم في المناورات العسكرية.

وإذا ما كانت أطراف الصراع في المنطقة، بما في ذلك إيران نفسها، قد أدلت بدلوهم في ما يريدونه من أي تسوية أميركية إيرانية محتملة، فإن ما صدر عن إدارة بايدن المفترضة لا يعدو كونه أفكارا عامة تجريبية لا ترقى إلى مستوى الاستراتيجية الممكن البناء عليها .والحال أن بايدن وصحبة سيجدون في المنطقة وقائع جدية خطيرة ستفرض على واشنطن خيارات واضحة حاسمة وربما موجعة تستمع بانصات إلى صوت الحلفاء في العالم. وفي التحولات أمام واشنطن أن باريس على لسان وزير خارجيتها تقول إن عودة واشنطن للاتفاق مطلوبة لكنها لا تكفي .بايدن وصحبه باتوا يدركون أيضاً «أمراً واقعاً» جديداً في أوروبا.

الاتفاقات النووي: الشيفرة والرموز

في تصريحات وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف بشأن سبل عودة الولايات المتحدة إلى الاتفاق النووي، ما يراد منه تقديم إيران بصفتها دولة كبرى وأساسية في رسم خرائط الأمن والاستقرار في العالم .يوزع الرجل «تعليماته» من منابر العواصم التي يزورها ويكلف منسق السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي جوزيه بوريل بالاشراف على آلية تعود من خلالها واشنطن عن «خطيئة» دونالد ترامب لاستئناف العمل باتفاق فيينا وكأن شيئا لم يكن.

يقترح الرجل عودة «متزامنة» لواشنطن وطهران .تعود أميركا للاتفاق دون شروط وتعود إيران للالتزام ببنود الاتفاق دون شروط .في الوقت عينه يدعو الرجل من الكويت إلى حوار مع الخليج ويروج ونظيره الروسي من موسكو لمنظومة أمن إقليمية، في وقت تتبرع فيه الدوحة بالوساطة لتسهيل حوار إيراني سعودي. وفي هندسات ظريف افتراض أن بلاده تعالج مع الكبار" سوء تفاهم "عرضي حول برنامجها النووي، فيما الخلاف مع دول المنطقة تحله تفاهمات تلفيقية مكمّلة.

من حق ظريف وحكومة طهران والولي الفقيه في إيران الإيمان بأن التناقض الرئيسي لإيران هو مع الولايات المتحدة فقط .يكلف ظريف الأوروبيين بالتوسط لدى واشنطن معتبرا في ذلك أن أوروبا تقف على نفس المسافة من واشنطن وطهران .يدرك الرجل هراء هذه القياسات، وحقيقة أن أوروبا حليفا تاريخيا أصيلا للولايات المتحدة وركنا مؤسسا للمنظومة الغربية فكرا وعقيدة ومصيراً .لكنه يرى أوروبا بالنسبة لإيران فرع لا أصل، ذلك أنه ويعرف أن اتفاق فيينا لم يوقع عام 2015 إلا بعد تخصيبه بقناة اتصال إيرانية أميركية خلفية تولت سلطنة عمان رعايتها قبل ذلك .كما أنه شهد عجز أوروبا عن حماية الاتفاق النووي وحماية إيران داخله بعد أن أسقط ترامب منه عضوية بلاده.

طهران والشراكة العجيبة مع واشنطن

لا يتوقف مشروع إيران الأيديولوجي وطموحاتها الامبراطورية على التوافق مع واشنطن .صدّرت الجمهورية الإسلامية ثورتها على الرغم من العداء لـ«الشيطان الأكبر» وعلى قاعدة العداء له. وتولت طهران مدّ نفوذها في المنطقة وفق شعار نصرة المظلومين ضد«الاستكبار» (الأميركي طبعا) دون أن تلقى من الولايات المتحدة والمنظومة الغربية ردا استراتيجيا رادعا خلال العقود الأخيرة .لا بل أن مغادرة المارينز للبنان في الثمانينيات بعد الهجمات التي وقفت طهران وراءها ضد سفارة الولايات المتحدة الأميركية وثكنة قواتها في لبنان، وتخليص إدارة جورج بوش الابن إيران من خصومها في أفغانستان شرقا والعراق غربا (2001 ـ2003)، لا يمكن إلا أن يكون تهاونا وتعاونا تود إيران أن تحوله إلى شراكة علنية في العالم والمنطقة.

كادت إيران أن تحصل على ذلك. أسكتت إدارة باراك أوباما كل جلبة يمكن أن تكون مؤشرا عدائيا ضد طهران في المنطقة والعالم .تحدثت تقارير متخصصة آنذاك كيف وأدت واشنطن تحقيقات أميركية حول أنشطة تهريب مخدرات وتبييض أموال تابعة لإيران في بلدان »

أميركا اللاتينية وأوروبا، حتى لا يشوش الأمر على ورشة الاعداد للاتفاق النووي .حتى أن أوباما نفسه أفرج بعد ولادة الاتفاق عن «عقيدة» (وفق ما أطلق الصحفي الأميركي جيفري غولدبيرغ في «ذي أتلانتيك» في آذار (مارس) 2016)، مفادها نقد لدول الخليج ودعوة لها للشراكة مع إيران، بما يوحي لطهران بتحول أميركا إلى حليف وشريك.

قد يوحي جو بايدن لإيران أنه نسخة محدثة لأوباما وعقيدته. ولم لا طالما أن معظم وجوه تلك الإدارة أوبامية الهوية والهوى، وأن غموض خريطة الطريق الأميركية وقوانين السير عليها يبيح لظريف وصحبة الاجتهاد والتفسير.

طهران تتوجس من شركاء جدد للتفاوض

وفق قوانين علاقة طهران مع أوباما تقرأ إيران سطور علاقتها مع بايدن .تحدد للأوروبيين الدور والموقع والمهمة، وتستبق أي تطور بتذكير السعودية والخليج برؤية أوباما ووصاياه. بيد أن سلوك ظريف، المفترض أنه يمثل الواجهة الرسمية التي تتعاطى مع العالم ومتغيراته، تبدو ناكرة عن عمد لأي تغير طرأ على عامل الزمن، رافضة الاعتراف بأن العالم قد اختلف، متهية الإقرار بأن المنطقة قد تغيرت وأنها باتت أكثر قدرة على تعطيل أي «عقيدة» والانقلاب على أي اتفاق لا يضمن استعادة طهران لبضائعها المصدرة إلى بلدانها.

في التجربة أن واشنطن التي ارتضت الإسلام السياسي الشيعي حليفا بعد لحظة 11 سبتمبر، روّجت للإسلام السياسي السني في لحظة ما أطلق عليه" ربيعا "في المنطقة .وفي التجربة أيضا أن عواصم المنطقة صدت خطط العواصم البعيدة، وهي قادرة وفق نفس النمط على فرض رؤاها وحماية أمنها ومصالحها.

بيد أن طهران المزهوة دوما بـ«احتلالها لأربع عواصم عربية» ما زالت تعتبر المنطقة من الغنائم التي ستحملها إلى طاولة مفاوضات مع واشنطن .تتوجس إيران من الضجيج حول شركاء جدد حول طاولة المفاوضات .تبدي غضبا من حديث الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بشأن ضم السعودية ودول أخرى إلى أي اتفاق. تسعى بتذاكي إلى تصويب البوصلة صوب اتفاق فيينا وحصرية أعضائه وعبثية ضم أعضاء آخرين.

في تكرار ظريف لحوار ما مع الرياض والمجموعة الخليجية فقه يفتي بأن أي اتفاق مع الجوار يأتي نتيجة لأي اتفاق مع الكبار وليس شرطاً له .يفهم أهل المنطقة أمر ذلك التحاذق ويوصدون الباب جيدا على أي تواصل أو حوار تريده طهران خلفيا ثانويا ملحقا بورشة التعامل مع التناقض الرئيسي الكبير.

يريد ظريف من أهل المنطقة حوارا مع إيران بعقائدها وحرسها وأحزابها وعصائبها وصواريخها وحشدها إلخ.. يريد أهل المنطقة إيران دولة لا تفجر شوارعهم ولا تقصف صواريخها مدنهم ولا تسمم ميليشياتها دولهم. بديهيات لم يهتد إليها أوباما وفتاويه.

لبنان: باريس الرياض طهران

في اتصال جرى بين الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون ونظيره الأميركي جو بايدن في 24 يناير الماضي، أوضح البيان الصادر في باريس عن مداولات جرت حول ملفات كثيرة في العالم، بما فيها تلك في الشرق الأوسط. إلا أن البيان تحدث خصوصا عن ملف الاتفاق النووي مع إيران والوضع في لبنان. وفي ذلك أن فرنسا ورئيسها أرادا من خلال ما تقصّدا إعلانه إبلاغ من يهمه الأمر في طهران وبيروت عن خصوصية الدور الفرنسي المقبل داخل الملفين.

بعد ساعات على هذا التواصل صدرت من العاصمة الفرنسية مجموعة من الإيحاءات التي تؤكد تطابقا كاملا بين باريس وواشنطن بشأن الملف النووي الإيراني بعد أن كانت فرنسا (كما ألمانيا وبريطانيا، شركاء واشنطن في الاتفاق) تبتعد عن سياسة الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب في هذا الشأن .باتت باريس تدين انتهاك طهران لالتزاماتها داخل اتفاق فيينا لعام 2015 ، وتطالب إيران بالعودة التامة إلى التقيد بالاتفاق كشرط لعودة الولايات المتحدة إليه.

تبدو باريس لسان حال واشنطن في شرط العودة للاتفاق، أو في شكل ومضمون المفاوضات المقبلة، أو في وجوب إدخال ملاحق على الاتفاق بين إيران ومجموعة الـ5+1، أو في ضرورة أن تشمل المفاوضات برنامج إيران للصواريخ الباليستية وسلوكها المزعزع للاستقرار في المنطقة .غير أن فرنسا في تطور موقفها واختفاء تحفظاتها السابقة حيال موقف الإدارة الأميركية، تعول على دور خاص بها يحمي مصالحها مع إيران كما تلك مع كل بلدان المنطقة. في هذا الإطار ما زال ماكرون يرى في ميدان لبنان مساحة جدل بين فرنسا وإيران ومختبرا لقياس معدلات تجاوب طهران مع الضغوط الدولية.

عمل الرئيس الفرنسي على تأكيد التعامل مع حزب الله. دعا ممثلي الحزب للاجتماع به أثناء زيارتيه لبيروت عقب انفجار مرفئها، على الرغم من مواقف أميركية بريطانية ألمانية تعتبر الحزب منظمة إرهابية. أراد الرجل التعويل على هذا التمايز، لعل في ذلك ما يسهّل تمرير المبادرة السياسية التي بشّر بها. غير أن العراقيل التي وضعت لتشكيل الحكومة على يد مصطفى أديب ثم سعد الحريري، ثم دفع طهران بوزير خارجيتها إلى لبنان للتعبير عن امتعاض من همّة ماكرون في بيروت، عكست تمسك إيران بنفوذ كامل على لبنان، وعدم استعدادها تسهيل العملية السياسية داخله

ظريف: لماذا ترفض طهران وساطة با ريس لدى واشنطن؟

دون مقابل يتعلق بالموقف الأميركي الدولي من موقعها في المنطقة.

ماكرون يستدرج الرياض

فشل ماكرون أن يسوّق لحضور بلاده في لبنان، تارة بسبب مقاومة إيران، وتارة أخرى بسبب غموض إدارة ترامب من مبادرته.

سعى الرئيس الفرنسي لاحقا للبحث عن منافذ لمبادرته من خلال تواصل مع الرياض أملاً في تغيير موقفها من بيروت .غير أن ما صدر لاحقا عن وزير الخارجية السعودي الأمير فيصل بن فرحان يوضح أن «لا ازدهار في لبنان دون إصلاح سياسي ونبذ ميليشيا حزب الله». وللمفارقة فإن ما خرج به ماكرون قبل أيام يعتبر نسخة فرنسية عن الرؤية السعودية، حين جزم بأن «النظام اللبناني في مأزق بسبب الحلف الشيطاني بين الفساد والترهيب».

واللافت في إعلان ماكرون عن عزمه القيام بزيارة جديدة إلى لبنان، إعلانه عن وجوب أن تكون السعودية شريكا في أي اتفاق جديد مع إيران .ولئن تحدث عن المملكة في سياق ضرورة أن ينضم الشركاء في المنطقة إلى الاتفاق العتيد (وهذا كلام أميركي أيضا)، إلا أنه تقصد إبراز لزومية الحضور السعودي وفق «عقد من الثقة»، يهدف إلى تجنب «خطأ العام 2015 عندما استبعد الاتفاق النووي القوى الإقليمية».

على أن للغيرة التي يبديها ماكرون على شراكة السعودية في ملف إيران، توق لاستدراج عامل سعودي أساسي مساعد في سعيه اللبناني، خصوصا بعد صدور موقف غاضب لطهران ضد اقتراح ماكرون على لسان المتحدث باسم الخارجية الإيرانية سعيد خطيب زاده.

ليس مستبعدا أن همّة ماكرون المتجددة

سعد الحريري: البحث عن غطاء خارجي

حيال لبنان تنهل دوافعها من مضمون مباحثاته مع بايدن .وليس مستبعداً أن بايدن الذي لم تفصح إدارته بشكل جلي عن سياستها بالنسبة للبنان، قد جدد لفرنسا ورئيسها وكالة أميركية لمقاربة الملف اللبناني، خصوصا أن لا مبادرات غربية تنافس فرنسا من جهة،ص وأن باريس ما زالت تتمتع بمرونة التحرك داخل الهامش اللبناني وتعقيداته من جهة قانية.

وفي كلام الرئيس الفرنسي عن «التحقق من أمور أساسية» قبل القيام بزيارته اللبنانية، ما يوحي أن الرجل الذي يفترض أنه بات أقل تفاؤلا وأكثر خبرة بالمعضلة اللبنانية، يخاطب في تجدد سعيه تحولات جديدة في مواقف واشنطن والرياض وطهران.

والحال أن مبادرات ماكرون لم تعد تحظ لدى اللبنانيين بالشعبية والثقة، ذلك أن الناس عاتبة على الرجل أن علاجه لا يعادي الشياطين التي يحذر منها، بل لطالما عوّل على توافق الفساد والترهيب لانتاج حكومة مهمتها إنقاذ البلد من تحالفهما المشؤوم.

الخليج ولبنان

لا يبتعد المزاج الخليجي حيال لبنان عن ذلك الدولي الذي أظهرته العواصم الكبرى وفرضته المؤسسات المالية في التعامل مع حال هذا البلد .والحال إن المجموعة الخليجية، على تعددها وخلافها الداخلي قبل قمة العلا، بقيت ملتزمة بسقف منخفض في التعامل مع لبنان متّسقة مع موقف دولي عام، تقوده الولايات المتحدة، حيال المطالبة بالإصلاح من جهة، والتخلص من هيمنة الميليشيا من جهة ثانية.

وعلى الرغم من أن المبادرة الفرنسية، التي قادها الرئيس إيمانويل ماكرون وقادته إلى بيروت مرتين خلال الأشهر التي تلت كارثة انفجار مرفأ بيروت، سعت إلى اختراق التصلب

فيصل بن فرحان :لنبذ حكم الميليشيا في لبنان

الدولي (الأميركي خصوصا)، إلا أن باريس فشلت، حتى الآن، في إحداث الخرق التي تتمناه، بسبب تنافس دور باريس مع أدوار طهران وواشنطن، وبسبب صلابة موقف عربي (خليجي خصوصاً) تقوده السعودية.

لا يشعر الخليجيون بأي حرج من تشدد موقفهم في مقاربة الشأن اللبناني .تعبر السعودية والإمارات، بشكل خاص، عن خيبة أمل من تاريخ طويل من الاستثمار السياسي والاقتصادي من أجل إعمار لبنان ودعم نموه، ومن بلادة أهل الحكم في لبنان خلال العقود الأخيرة فيَ التعامل مع الدعم الخليجي كمعطى بديهي غير مشروط ينهل ثباته من مسار تاريخي عتيق.

ولا يشعر الخليجيون بأي تحفظ في اعتبار أن علاقتهم مع لبنان، وعلى الرغم مما للبلد من مكانة في الوجدان الخليجي العام، تتأسس على المصالح والاحترام المتبادل، ولن تستمر وفق نمط المعادلات الخاسرة التي تفاقمت في السنوات الأخيرة.

وفيما سعت فرنسا لإنجاح مبادرتها اللبنانية من خلال توسل دعم خليجي، لا سيما سعودي، وفيما تواصل ماكرون مع القيادة السعودية مرارا في هذا الشأن، إلا أن الموقف الخليجي العام لم يتغير في مسألة أنه بات من العبث مساعدة بلد واقع في أسر معسكر معاد يُقاد من طهران، كما من الهراء ضخ تمويلات داخل هيكل اقتصادي تتحكم به مافيات الفساد والسلاح .كما أن الخليجيين لم يرتاحوا إلى مقاربة ماكرون اللبنانية التي تتعامل مع إيران وحزبها بصفتهما أصلا في المعادلة الداخلية لا علة وجب أولاً اجتثاثها.

لا يبتعد وزير الخارجية السعودية الأمير فيصل بن فرحان بن عبد الله عن هذا السياق، ويعبر عنه بإيجاز يعكس تراجع مرتبة لبنان داخل الأولويات السعودية. قال الرجل إن «لبنان يمتلك مقومات للنجاح لكنه يحتاج للإصلاح».

دبلوماسية الحريري

وفيما أشيع عن سعي رئيس الحكومة المكلف سعد الحريري للحصول على لقاحات ضد كورونا من الإمارات لصالح لبنان، وفيما استقبلت أبو ظبي الرجل بالترحاب، فإن ذلك لم يفرج عن تبدل المزاج حيال لبنان .الزيارة وما نشر عنها تعكس ربما احتضانا شخصيا للرجل، لكنها استمرار المجموعة الخليجية في تقديم المعونة الإنسانية (فقط) للبنان وسكانه لمواجهة الكوارث لا سيما تلك التي تمثلها جائحة كورونا.

ولئن كتب الكثير من التأويلات عن الزيارة التي قام بها الحريري إلى تركيا واجتماعه مع الرئيس رجب طيب أردوغان بعد أيام من مغادرته للإمارات، فإن منطق الأمور يدفع إلى الاعتقاد أن الحريري تحرك وفق أجواء زيارته لأبوظبي، كما وفق أجواء ما صدر عن الأتراك والخليجيين مؤخرا عن ضرورات التوافق والانفتاح والحوار. وإذا ما صح أن رئيس الحكومة اللبناني المكلف ينشط وفق هذا الهامش، فإنه قد لا يكون بعيداً عن باريس داخل سياق الحوار التركي الأوروبي الجاري لطي صفحة التوتر الماضية.

موقف الخليج

والحال أن الموقف الخليجي من لبنان يستند على قاعدتين.

الأولى لها علاقة مباشرة بموقع إيران المقبل في المنطقة وما ستغيره مقاربة إدارة الرئيس الأميركي جو بايدن داخل الملف الإيراني، وبالتالي ما سيعنيه ذلك من تداعيات على نفوذ إيران في لبنان.

والثانية لها علاقة بموقف أهل الحكم في لبنان وجدية انتهاجهم خيارات الإصلاح والعزم الصريح والمعلن لجعل البلد سيداً مستقلاً ـ عن مزاج الولي الفقيه في إيران.

ولئن تمارس إيران نفوذا متقدما في العراق كما هو حالها في لبنان، إلا أن الخليجيين يلمسون على الأقل جهدا صعبا لحكومة بغداد وجانباً عريضاً من نخب البلد السياسية لانتشال بغداد من تبعية قرارها لطهران. ويستدرج تقدير الخليجيين لهذا السعي دعما له من باب «أن استقرار العراق هو عنصر أساسي لاستقرار المنطقة والأمن العربي»، وفق تقييم وزير الخارجية السعودي، منوهاً بما تقوم به حكومة مصطفى الكاظمي من أعمال قوية لبناء المؤسسات العراقية.

وفي حسابات الربح والخسارة، وإلى أن تستعيد بيروت سيادتها، فإن بوصلة الخليجيين ستبقى شاردة عن وجهات لبنان. ■

* صحافي وكاتب سياسي

أين مسؤولية اللبنانيين؟ وهل صار وقت بحث تغيير النظام؟

لبنان المأزوم... بين حَدّي انتظار الدعم العربي والمتغيرات الدولية

بيروت: غاصب المختار

ترنّح لبنان مطوّلاً تحت وطأة الخلافات حول تشكيل الحكومات، منذ تشكيل حكومة الرئيس نجيب ميقاتي عام2011، وحتى تشكيل حكومة الرئيس سعد الحريري الاخيرة، مروراً بحكومة الرئيس تمام سلام، وحكومة الرئيس حسان دياب وصولاً إلى ازمة الرئيس الحريري مؤخراً بعد إعادة تكليفه .وبقيت اسباب الخلافات هي ذاتها، مرة حول حصص الاطراف السياسية، ومرة حول الصلاحيات الدستورية بين رئيسي الجمهورية والحكومة، ومرة حول مراعاة التوازنات الداخلية السياسية والطائفية .لكن في النهاية تحصل التسويات الظرفية على قاعدة «تبويس اللحى» ومراعاة مصالح الاطراف، لكن نتائجها السلبية والمخيبة تظهر خلال عمل الحكومة فتشلها نتيجة الصراعات داخلها.

الأزمة السياسية الداخلية في لبنان ليست مستجدة. هي نتيجة تراكمات ومواقف مسبقة عمرها عشرات السنين، خاصة خلال حروب الاخوة الاعداء. حيث لم تفلح التفاهمات الموسمية أو المؤقتة، ولا التحالفات الانتخابية الظرفية لاحقاً في تحقيق استقرار مُستدام، بل إن جروح خلافات الحرب الأهلية والحروب الصغيرة لا زالت تحفر في الوجدان السياسي والشعبي.

ازمة حكم ونظام

على هذا الحال، المشكلة صارت في لبنان أزمة حكم وتحولت الى ازمة نظام ، نتيجة المخاوف المفتعلة حول الصلاحيات الرئاسية الدستورية والميثاقية في تمثيل الطوائف، وكيفية إدارة الحكم، وتحت عنوان الهواجس الطائفية التي تحركها القوى السياسية لتثبيت مواقعها السياسية والطائفية .لذلك صدرت الدعوات من أكثر من طرف سياسي ومن المجتمع المدني الفاعل والناشط، إلى فتح نقاش حول تعديل آليات النظام، ولا بأس من نقاش حول تعديل أو توضيح بعض بنود الدستور (دستور اتفاق الطائف 1991) ، لتتضح الثغرات فيه والتي يتحجج بها السياسيون للبقاء على خلافاتهم، وليتم ترييح النظام السياسي من التعقيدات التي تتحكم به وتعطّل كل شيء .

وساهمت أيضاً خيارات القوى السياسية المحلية حيال الوضع الاقليمي المتوتر، في نقل صراع المحاور الخارجية الى الداخل اللبناني .وصار الخيار من ليس معنا فهو ضدنا، لا سيما بعد تصاعد الخلاف الخليجي الايراني.

بإنتظار الدعم العربي

هذه الخلافات والانقسامات اللبنانية، مضافاً اليها سوء الادارة والفساد وتأخر الاصلاحات او عدم رغبة معظم القوى السياسية في تحقيقيها، أدّت الى شبه هجرة دبلوماسية من لبنان، حيث غادر بيروت لفترة من الوقت بعض السفراء العرب، وسط جمود لأي تحرك للسفراء العرب الاخرين وللموفدين الذين بالعادة يواكبون الوضع اللبناني. بإستثناء زيارة يتيمة لوزيرة الصحة المصريّة هالة زايد استمرت ثلاث ساعات التقت خلالها وزير الصحة اللبناني حمد حسن وغادرت، وسبقها وصول ٣ طائرات من المساعدات الصحيّة والإجتماعيّة المقدّمة من مصر للوقوف إلى جانب لبنان دولةً وشعباً في مواجهة أزمة تفشّي «كورونا». وزيارة نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية القطري الشيخ محمد بن عبد الرحمن ال ثاني، الذي اعلن من القصر الجمهوري عن مشاريع لإعادة إعمار ما دمره إنفجار المرفأ ومشاريع تنموية وتربوية واقتصادية اخرى لاحقاً .إلى جانب مساعادت صحية وغذائية من السعودية وقطر والكويت، لا تُغني ولا تشبع من جوع فعلياً، بعدما تجاوز مستوى الفقر في لبنان نسبة الستين في المئة، وتغيرت حسب دراسات المراكز المختصة تركيبة المجتمع اللبناني.

وجرى الحديث ايضاً عن دعم عراقي لاحقاً عبر اتفاق لبناني ـ عراقي يقضي بتزويد لبنان «بالفيول اويل» لتشغيل معامل الكهرباء، وبكميات كبيرة من المحروقات بأسعار متدنية وتسهيلات بالدفع، بعدما بلغ الوضع المتردي لمؤسسة الكهرباء حدّ تهديد لبنان كله بالعتمة الشاملة .

لكن على ما قالت مصادر دبلوماسية لبنانية عاملة في الخليج لـ «الحصاد»، فإن الكويت بصدد التحضير أيضاً لتحرّك ما تجاه لبنان بعدما إنتهت الكويت من إنجاز المصالحة الخليجية، وبعد ما تشكّلت الحكومة الكويتية الجديدة وتسملت مهامها، وان وزير الخارجية الكويتية الشيخ الدكتور احمد الناصر الصباح سيزور بيروت بعد تشكيل الحكومة اللبنانية..

لكن الذي حصل انه تم إدخال مصر أيضاً على خط المعالجات عبر زيارة الرئيس سعد الحريري الى القاهرة مطلع شباط/ فبراير ولقاء الرئيس عبد الفتاح السيسي وامين عام جامعة الدول العربية أحمد ابو الغيط ووزير الخارجية سامح شكري ومدير المخابرات العامة، وكذلك دخلت الامارات لاحقاً بطلب فرنسي وعلى الارجح اميركي ايضاً، للمساعدة في حل الخلافات. ولهذا كانت زيارة الحريري إلى ابو ظبي مؤخرا قبل زيارته فرنسا.

وذكرت المعلومات ان الحريري سعى خلال جولته لتأمين الحشد المطلوب عربياً وخليجياً ـ ودولياً للمساعدات التي ستقدم للبنان بعد تأليف الحكومة. وأن الحريري يطرح ـ تشكيل مجموعة دعم عربية للبنان وإمكان انشاء صندوق عربي لتوفير المساعدات المالية.

فرنسا واميركا الثابت والمتغير

وحدها فرنسا بقيت تسعى عبر مبادرة الرئيس إيمانويل ماكرون في ايلول/ سبتمبر الماضي، إلى معالجة مشكلات اللبنانيين، فطرحت الكثير من الافكار ولوّحت بعصا غليظة

تشكيل الحكومات خلاف صلاحيات ام حصص؟

كالعقوبات على السياسيين، واستخدم مسؤولوها الكبار عبارات تأنيب وتجريح علنية بحق السياسيين اللبنانيين، لكن من دون جدوى. ووصلت القناعة إلى ان العامل الخارجي المؤثر على اوضاع لبنان اكبر وأكثر تأثيراً من الخلافات الداخلية «المقدور عليها». لذلك دعت فرنسا على مستوى الرئاسة فيها، الولايات المتحدة الاميركية بعد إنتخاب الرئيس جو بايدن، إلى التعامل بمزيد من «الواقعية» مع اوضاع لبنان، ولا سيما حيال تمثيل ومشاركة «حزب الله» في الحكومات، لتحقيق نوع من الاستقرار السياسي للمساعدة في الخروج من الأزمة السياسية والاقتصادية.

وحسب المعلومات، حددت فرنسا أولويات يمكن لباريس وواشنطن العمل عليها في لبنان، وفي طليعتها تشكيل حكومة لبنانية توافقية يمكنها الاستمرار في العمل بفاعلية على تحقيق الاصلاحات المطلوبة .ولذلك عادت حركة السفيرة الفرنسية في بيروت آن غريو الى زخمها بعد توقف، ودخل رئيس مجلس الشيوخ الفرنسي جيرارد لارشيه على خط مجلس النواب برسالة الى رئيسه نبيه بري.

وثمّة من رد هذه الدينامية الفرنسية ليس إلى علاقة لبنان بفرنسا المتجذرة تاريخياً وحسب، بل أيضاً لأن الرئيس ماكرون مستعجل لمعالجة الوضع اللبناني قبل ان يتفرغ في ايار المقبل للانتخابات الرئاسية.

ويبدو ان المسعى الفرنسي نجح إلى حد ما في تخفيف الضغط الاميركي على لبنان، والذي تمثّل بالعقوبات على سياسيين وشخصيات اقتصادية واجتماعية ورجال أعمال حلفاء لحزب الله او مقربين منه. وحسب المعلومات، فإن حدّة اللهجة الاميركية تراجعت قليلاً الشهر الماضي، وعبرت عنها السفيرة دوروثي شيا خلال جولة على كبار المسؤولين، لعرض التوجهات العامة الجديدة للإدارة الاميركية داخل اميركا وخارجها، والتي ستتضح اكثر بعد فترة قصيرة من بدء وزير الخارجية الجديد أنتوني بلينكن مهامه.

وركزت السفيرة شيا على ان تأليف حكومة لبنانية منسجمة وتحمل برنامجا إصلاحياً واضحاً من شأنه ان يفتح الباب مجدداً امام الدعم الدولي .كذلك اعادت السفيرة فتح ملف مفاوضات ترسيم الحدود البحرية بين لبنان والكيان الاسرائيلي، والتي توقفت بعد آخر جولة لها في شهر تشرين الثاني ـ نوفبر الماضي، بطلب اميركي بعد توسيع المطالب اللبنانية لحدود المنطقة الاقتصادية الخالصة في البحر والتي تحوي الثروات النفطية والغازية وتحاول اسرائيل قضمها.

هذه المتغيرات في التوجهات الاميركية أرخت نوعاً من الارتياح لدى لبنان، خاصة ان بعض من التقتهم السفيرة تحدث عن لغة مختلفة عن تلك السابقة التي كانت معتمدة.

المتغير الاميركي المرتقب، سبقه صدور

ماكرون.. أولويات باريس تشكيل حكومة لبنانية توافقية

التقرير الجديد «لمجموعة الأزمات الدولية» في كانون الثاني ـ (يناير) الماضي، والتي تتخذ من بروكسل عاصمة الاتحاد الاوروبي ومن واشنطن مركزين لها، والذي أشار الى «أن الصراع السياسي حول دور حزب الله تسبب بخسائر للبنان، حيث عمّق الاستقطاب في البلاد، وكذلك جعل الإجماع المحلي على حكومة جديدة وعلى الخطوات المطلوبة لإنقاذ الاقتصاد اللبناني أكثر صعوبة ». وقال التقرير: ان العقوبات الأميركية ضد حلفاء حزب الله، والضغط الموجه لاستبعاد الحزب من السلطة التنفيذية يعقد هذه المهمة الصعبة لتشكيل الحكومة وتحقيق الاصلاحات بالفعل.

وذهب التقرير مباشرة الى حد القول: أنه «يجب على الولايات المتحدة أن تجعل هدفها الأول تقوية الدولة اللبنانية وتجنب انهيارها. وحان الوقت للولايات المتحدة لتغيير أولوياتها، لأن ثمن التركيز الشديد على اضعاف حزب الله قد يعني فشل الدولة، وهذا سيكون مروعاً للشعب اللبناني ومن شأنه زعزعة استقرار المنطقة برمتها».

إغتيال سليم وعناصر التوتير

لكن الحرص الخارجي على استقرار لبنان لم يجد مسلكاً له في الحياة اليومية. فجاء اغتيال الناشط السياسي والباحث والناشر لقمان محسن سليم، ليؤكد معلومات القوى الامنية منذ شهر، عن رصدها إحتمال حصول عمليات إغتيال، إضافة إلى تحريك خلايا ارهابية نائمة، وحدوث اعمال شغب وتخريب، وهو الامر الذي حصل بعد تفكيك اكثر من شبكة ارهابية في مناطق الشمال والبقاع، وفي طرابلس من أعمال شغب وحرق وتخريب. مايعني ان جريمة الإغتيال هدفها صب مزيد من النار على زيت الوضع المتهاوي للبلد، وخلق مزيد من البلبلة والفوضى الأمنية والعامة، بحيث بدأ فور حصول الجريمة توجيه اصابع الإتهام الى حزب الله بإغتيال سليم . وفي تقدير بعض المشتغلين بالأمن، ان المخاوف تزايدت بحصول عمليات إغتيال اخرى، لأهداف سياسية سهلة».

دعوات التدويل

إضافة إلى هذه التوترات، دعا البطريرك الماروني بشارة الراعي مجدداً إلى «أن تُطرح قضية لبنان في مؤتمر دولي خاص برعاية الأمم المتحدة». وذلك بعد دعوته قبل أشهرالمجتمع الدولي والأمم المتحدة الى ضمان حياد لبنان. وسبقت دعوة البطريرك دعوات من بعض السياسيين والاحزاب والهيئات المدنية إلى تدويل التحقيقات في إنفجار مرفأ بيروت، ومؤخراً في جريمة إغتيال الناشط والكاتب لقمان سليم، وقبل ذلك دعوات للتدخل الدولي في عمليات التدقيق المالي ومكافحة الفساد ولتلبية كل مطالب الحراك الشعبي. وهو ما كان موضع خلاف وسجال بين رافض للتدخل الدولي وبين مؤيد وداع له بقوة.

وجاءت الدعوات إلى التدويل، بعد فقدان الثقة بكل ادوات الحكم في لبنان، وكذلك نتيجة فشل مؤسسات النظام القائم في الوصول إلى النتائج المتوخاة من كل قضية تحصل. لكنها جوبهت برفض من قبل بعض القوى السياسية التي تتوجس كثيراً من وضع اليد الدولية على كل مفاصل لبنان، لا سيما بعد تجربة المحكمة الدولية لقضية إغتيال الرئيس رفيق الحريري، التي إعتُبِرَت محكمة سياسية.

مسؤولية اللبنانيين

ولذلك، حسب ما توافر من معلومات، فإن كل اطراف الخارج، ركزت مع اللبنانيين على ضرورة تحمّل مسؤولياتهم في إنقاذ بلدهم ووضع الحلول والاصلاحات اللازمة له، والابتعاد عن عقلية المحاصصة والمحسوبيات وتسجيل المكاسب السياسية والطائفية وتوزيع المغانم، والاهتمام بأوضاع شعبهم ومطالبه، بعدما إنفجر الوضع الاجتماعي والمعيشي بوجه الدولة غلياناً في الشارع، تحوّل الى اعمال شغب وحرق وقطع طرقات فسقط قتيل وعددٌ كبير من الجرحى، بدءاً من طرابلس في الشمال وكاد يمتد الى مناطق اخرى لولا تطويقه من قبل القوى الامنية.

لكن حسب محللين سياسيين ودستوريين، لم يعد يكفي ان تتم التسويات المؤقتة، بل صار من الواجب ان يجلس المسؤولون مع المجتمع المدني واهل الاختصاص الى طاولة حوار وطني موسعة، للبحث في كل مساوىء النظام وثغراته وإيجاد الحلول لها وتيسير آليات الحكم وادواته، بما يوفّرُ نوعاً من الاستقرار المحمي من الدول الشقيقة والصديقة.■

ثورة تشرين / أكتوبر وغموض موقع ناشطيها في البرلمان المقبل

الانتخابات المُبكرة وغموض المستقبل العراقي

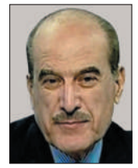

د. ماجد السامرائي

كان من بين أهم مطالب ثوار تشرين (أكتوبر) إجراء انتخابات مبكرة في العراق، لم يكن هذا المطلب استعراضياً لمجرد إضافة عبارة «مبكرة» على الانتخابات المعتادة دورياً , لكنه كان جزءاً من مطالب سياسية تبلورت من بينها إجبار رئيس الوزراء عادل عبد المهدي على الاستقالة عام 2019 بعد أن قدمت الثورة الشابة الجديدة أكثر من ثمانية آلاف شهيد خلال أشهر قليلة قتلتهم المليشيات المسلحة الموالية لطهران دون أن يسمع الرأي العام العراقي والعربي أنه تم القاء القبض على واحد من أولئك القتلة لسبب بسيط هو إن هؤلاء أدوات ومنفذون لأوامر وقرارات سياسية عليا لجهات مرتبطة بالخارج .

جاء مصطفى الكاظمي لرئاسة الوزارة ليس بخيار التسمية الشخصية من قبل ثوار تشرين أكتوبر لكن الأحزاب الشيعية اضطرت لاختياره من خارجها حتى وإن كان من موالي سلطتها فقد عمل مديراً للمخابرات العراقية وهو موقع مهم تم تعيينه فيه من قبل رئيس الوزراء الأسبق حيدر العبادي ليس بسبب مهنته في هذا الجهاز وإنما لولائه السياسي للنظام السياسي القائم , فهو صحفي كان معارضاً لنظام صدام قبل عام 2003 اشتغل في مشروع الذاكرة العراقية لتوثيق انتهاكات نظام صدام الذي أداره منذ عام 1992 المعارض الكاتب كنعان مكية مع جهات أمريكية بحثية واستخبارية .

كان من الطبيعي أن يضع الكاظمي في أولى أولوياته تلبية مطلب الثوار في الانتخابات المبكرة

وجعلها ضمن منهاجه الوزاري بعد تكليفه بالوزارة ورضخت الأحزاب لهذا المطلب وايدته في البرلمان لكنها وجدت في الانتخابات المبكرة مجالاً جديداً للالتفاف على الجمهور العراقي اليائس منها، وكان من الطبيعي أن يرتبط بتحديد تاريخ تلك الانتخابات وهو السادس من حزيران يونيو 2021 مسألة القانون الانتخابي الذي كانت قد إزاحته إحدى مطالب الثورة الشعبية . اشتغل البرلمان بعجالة على تشريع ذلك القانون على أساس الانتخاب الفردي وتوزيع العراق الى مناطق انتخابية وليس وحدة انتخابية واحدة. وتم تشكيل المفوضية العليا للانتخابات قيل عنها مستقلة لكن الواقع ليس كذلك. هناك مسالة فنية تتعلق بعدم اكتمال نصاب أعضاء المحكمة الاتحادية التي تعتبر أعلى هيئة قانونية في البلاد ومن مهامها المصادقة على نتائج الانتخابات وهذا يتطلب إعادة بناء هذه الهيئة بقانون جديد ما زال عرضة للصفقات داخل البرلمان الذي ينبغي أن يحل نفسه قبل شهرين من موعد الانتخابات .

المناخ الذي أوجدته ثورة تشرين أكتوبر أواخر عام 2019 وعام 2020 ليس لصالح الأحزاب المتورطة بالفساد والتبعية الخارجية مما وضعها أمام تحدّي مصيري للحفاظ على وجودها وعدم السماح لتداعيات الثورة تقنين بدائل جديدة للعملية السياسية بشخصيات سياسية وطنية غير متورطة بالفساد والقتل . خلال وقت قصير انبرى التيار الصدري لكي يصبح زعيمه هو الناطق باسم الحراك لا يسمح لغيره أن يتصدر المشهد الثوري الجديد لكونه يمتلك وسطاً جماهيرياً واسعاً من المحرومين في بغداد والمحافظات الجنوبية حيث أصبحت الناصرية بعد البصرة من المناطق الملتهبة الى جانب كربلاء والمحافظات الأخرى. وحصلت صدامات بين أنصاره وشباب الانتفاضة خلفت ضحايا خلال الشهور الأخيرة.

اتجهت الأنظار على النخب الناشطة في ثورة تشرين أكتوبر من قبل الأحزاب والمليشيات الموالية لإيران بتوافق مع قائد التيار الصدري بشن حملة مركبة ضدهم ذات رسائل لوجستية وسياسية متعددة الاتجاهات، كان الهدف هو الإساءة لسمعة الثوار واتهامهم «بالجوكرية» أي العملاء للسفارات كونهم رفعوا شعارات «إيران برة برة ولا للنفوذين الأمريكي والإيراني في العراق» وحصلت صدامات دموية كان الثوار فيها عُزّلاً من السلاح لأن انتفاضتهم سلمية لكن أدوات القتل كانت بأيدي جهات متعددة تورطت فيها الأجهزة الأمنية والعسكرية الحكومية خصوصاً في الناصرية .

هذا المناخ العنفي لم يمنع بقاء مطلب تحقيق الانتخابات المبكرة وتعزيزه بالإجراءات الفنية التي أقرها البرلمان العراقي قائماً وملحاً مثل تشكيل مفوضية جديدة وقانون الانتخابات . لكن الأحزاب لم تكن متحمسة لقيام انتخابات بالسرعة الزمنية التي أعلن عنها الكاظمي بسبب عدم جاهزيتها، رغم إن المال السياسي والسلاح بأيديها. لهذا تم الاشتغال على تأجيلها الى الموعد الذي أعلن لاحقاً وهو العاشر من شهر أكتوبر/ تشرين الأول من هذا العام. رغم إن بعض الجهات الأوسع نفوذا وتمكّنا من السلطة والأكثر استفادة من الوضع الحالي تتمنى عدم اجراء انتخابات قبل الموعد التقليدي عام 2022.

الخارطة السياسية للانتخابات

تسابق الأحزاب السياسية الزمن استعدادا لخوض ماراثون انتخابي محموم في العاشر من أكتوبر المقبل. يتوّزع الرهان بين قوى جديدة طامحة للتغيير واستثمار حالة الغضب الشعبي العارم من سوء الأوضاع وبين قوى قادت تجربة الحكم طيلة الثماني عشر سنة الماضية أو شاركت فيها بدرجة أو بأخرى وتطمح لمواصلة القبض على زمام السلطة حفاظا على مكانتها ومكاسبها.أعطت ثورة تشرين أكتوبر مؤشّرا قويا على رغبة العراقيين في التغيير، وأنّهم يستطيعون القيام بذلك في حال أجريت انتخابات نزيهة وشفّافة بعيدا عن تأثيرات المال السياسي وسلاح الميليشيات.

أعلنت مفوضية الانتخابات العراقية لحد كتابة هذه المقالة عن مشاركة سبعة وعشرين تحالفا في الانتخابات تضم مئتين وخمسة وثلاثين حزبا سياسيا من بينها سبعة على الأقلّ تقدّم نفسها كممثلة للحراك الشعبي الى جانب تلك القوى ظل التحالفات الشيعية صاحبة الأغلبية في البرلمان الحالي بواقع 187 مقعدا من أصل 329 على رأس المتنافسين في انتخابات أكتوبر القادم. تمتلك تلك التحالفات موالين في بغداد ومحافظات جنوب البلاد، وأبرزها تحالف سائرون الذي يشغل 54 مقعدا ويضمّ أحزابا أبرزها التيار الصدري الساعي للحصول على رئاسة الوزراء وتشكيل الحكومة القادمة وفق تصريح سابق لزعيم التحالف مقتدى الصدر.

أما تحالف الفتح الذي يشغل 47 مقعدا نيابيا فيضمّ 17 كيانا بين أحزاب ومنظمات وتجمعات غالبيتها مكونة من فصائل الحشد الشعبي الموالية لإيران .ولم يعلن التحالف السعي للحصول على رئاسة الوزراء لكنّ مناهضين له يخشون استغلاله قوات الحشد التي وقع إدماجها بشكل صوري في القوات المسلّحة لتحقيق مكاسب انتخابية بطرق غير مشروعة. ويأتي تحالف النصر بمقاعده 42 ثالثا في ترتيب أكبر التكتلات .ويقوده رئيس الوزراء الأسبق حيدر العبادي ويتشكل من أربع كتل سياسية شيعية ذات ثقل سياسي وانتخابي ضعيف، وهي حزب الفضيلة وتيار الإصلاح برئاسة رئيس الوزراء الأسبق إبراهيم الجعفري ومستقلون بزعامة وزير النفط الأسبق حسين الشهرستاني والمجلس الأعلى الإسلامي بزعامة همام حمودي.

ورابع التكتلات الحزبية الكبيرة هو تحالف دولة القانون بستة وعشرين مقعدا في البرلمان الحالي ويقوده رئيس الوزراء الأسبق نوري المالكي الذي لا يكاد ييأس من الحصول مجددا على رئاسة الوزراء وتشكيل الحكومة وفق تصريحات له والذي يعد الخصم الشيعي الأبرز لزعيم التيار الصدري مقتدى الصدر .يعتبر التحالف محافظات وسط وجنوب العراق خزانه الانتخابي إلاّ أنّ سكان تلك المحافظات أظهروا خلال انتفاضتهم غير المسبوقة التي تفجّرت في أكتوبر 2019 غضبا شديدا من الأحزاب التي حكمت البلاد منذ 2003 وقاموا بإحراق عدد من مقرّاتها داخل مدنهم.

بالنسبة إلى الكثير من العراقيين فإنّ للمالكي الذي قاد الحكومة لفترتين متتاليتين بين سنتي 2006 و2014 مسؤولية مباشرة في تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والأمنية وفي شيوع الفساد وتغلغله في مفاصل الدولة. ويظل من أكثر المحطّات قتامة في مسيرته بالحكم انتهاء ولايته الثانية بسيطرة تنظيم داعش على ثلث مساحة العراق وتهديده عاصمتها بغداد.

واعتبرت تلك الكارثة التي أدخلت العراق في حرب دامية ومكلفة بشريا وماديا نتيجة مباشرة للدمار الذي أحدثه زعيم دولة القانون في مؤسسات الدولة العراقية بما في ذلك المؤسسة الأمنية والعسكرية التي تغلغلت فيها الاعتبارات الطائفية وابتعدت عن المهنية في اختيار كبار قادتها كما تسرّب إليها فساد كبير حتّى أن عدد المنتسبين إليها بشكل صوري لمجرّد تقاضي الرواتب دون مشاركة فعلية في الخدمة والذين يصطلح عليهم محليا بـ«الفضائيين»، تجاوز في عهد رئيس الوزراء الأسبق الخمسين ألفا وفقا لبعض التقديرات.

أما تحالف تيار الحكمة الذي يتزعمه عمّار الحكيم المنشقّ عن المجلس الأعلى الإسلامي وصاحب التسعة عشر مقعدا في البرلمان الحالي فيسعى إلى تعويض الخسارة النيابية التي لحقت به في انتخابات 2018 بعد أن كان عدد مقاعده ثلاثين مقعدا في انتخابات 2014.

تأتي التحالفات والكتل السُنية في أدنى ترتيب القوى المنافسة على مقاعد البرلمان وبالتالي على مواقع السلطة بسبب هيمنة الاحزاب الشيعية على تجربة الحكم منذ عام 2003 واشتركت كلّ من الولايات المتّحدة الأميركية وإيران في وضع أسسها وتحديد معالمها , وأيضا بسبب كثرة الانقسامات داخل القوى السياسية السنّية وصراعات الزعامة بين قياداتها. وعقب أقل من عام على انتخابات 2018 التي حصل فيها التحالف السُني المعروف باسم المحور الوطني بزعامة رئيس البرلمان الحالي محمد الحلبوسي على خمسين مقعدا بمجلس النواب تفجرت الخلافات بين قياداته على زعامة التحالف وخرج من رحم التحالف السُني المنقسم ثلاثة تحالفات وكتل أبرزها «المحور» بزعامة خميس الخنجر و«القوى العراقية» بزعامة محمد الحلبوسي، و«جبهة الإنقاذ» بزعامة أسامة النجيفي، وجميعها تسعى لخوض الانتخابات البرلمانية المقبلة بذات الطموحات السابقة وهي المشاركة بشكل ثانوي في السلطة والتمتّع بما تمنحه من امتيازات من دون تأثير واضح في رسم معالم سياسات النظام وتحديد خياراته.

أمّا الأحزاب الكردية فقد خاضت الانتخابات الماضية بقائمتين هما السلام الكردستانية والقائمة الوطنية حيث حصلت الأولى على 43 مقعدا والثانية على 15 مقعدا في البرلمان.

وضمت قائمة السلام الكردستانية الحزبين الحاكمين في إقليم كردستان العراق وهما الاتحاد الوطني الكردستاني والحزب الديمقراطي الكردستاني ,فيما ضمت القائمة الوطنية أحزابا معارضة هي حركة التغيير والجماعة الإسلامية الكردستانية والتحالف من أجل الديمقراطية والعدالة , خلال العامين الماضيين تصاعدت حدة الخلافات بين الأحزاب الكردية الحاكمة والمعارضة إثر تفاقم الأزمات الداخلية في إقليم كردستان وأبرزها الأزمة المالية والخلافات بشأن مصير المناطق المتنازع عليها بين بغداد وأربيل.

إلى جانب تلك القوى التي شاركت خلال الفترة الماضية في العملية السياسية على اختلاف درجات مشاركتها يأتي ائتلاف الوطنية بمقاعده الستة وعشرين في البرلمان الحالي، وهو تكتّل لا يُصنّف طائفيا أو عرقيا حيث يضمّ خليطاً من إسلاميين وعلمانيين وقوى سياسية سُنية أبرزها التجمع المدني للإصلاح بزعامة رئيس البرلمان الأسبق سليم الجبوري والجبهة العربية للحوار بزعامة صالح المطلك والوفاق الوطني العراقي بزعامة رئيس الوزراء الأسبق إياد علاوي الذي فاز في انتخابات 2010 بأكبر عدد من مقاعد البرلمان لكنّ نوري المالكي تمكّن من أن ينتزع منه حقّ تشكيل الحكومة عندما لجأ إلى تفسير مادة في الدستور قال إنّها تمنح امتياز قيادة السلطة التشريعية لمن يستطيع تشكيل أكبر تحالف تحت قبّة البرلمان وليس من يحرز أكبر عدد من المقاعد.

علي السيستاني وبلاسخارت

كان لا بد من جهتين مهمتين أن تتدخلا في الشأن الانتخابي العراقي هما ممثلية الأمم المتحدة ومرجعية السيستاني.

السيد علي السيستاني الذي تعتبره الأحزاب الشيعية مرجعها في القرارات السياسية المصيرية رغم وجود تيار ولائية لولي الفقيه الإيراني خامنئي سبق له أن أيد انتفاضة الشباب في بيانات مكتبه، لكن التطور المهم هو مقابلته لـ «جينين بلاسخارت» ممثلة الأمين العام للأمم المتحدة في العراق وصدور بيان من مكتبه بعد اللقاء شدد فيه على «أن الانتخابات النيابية المقرر إجراؤها تحظى بأهمية بالغة ويجب أن توفر لها الشروط الضرورية التي تضفي على نتائجها درجة عالية من المصداقية ليتشجع المواطنون على المشاركة فيها بصفة واسعة»، مُقرّاً أن المزيد من التأخير في إجراء الانتخابات أو إجرائها من دون توفير الشروط اللازمة لإنجاحها بحيث لا تكون نتائجها مقنعة لمعظم المواطنين سيؤدي إلى تعميق مشكلات البلد والوصول إلى وضع يهدد وحدته ومستقبل أبنائه، وستندم عليه جميع الأطراف المعنية الممسكة بزمام السلطة في الوقت الحاضر.

ويتساءل البعض إذا كان المقصود من إجراء الانتخابات الحفاظ على امتيازات الأحزاب في السلطة فإن ذلك يمكن أن يتم من غير إقرار قانون جديد للانتخابات، لكن المرجعية المذهبية الشيعية تريد إبقاء الأمور كلها في متناول الأحزاب الكبيرة.

بلاسخارت

من يقرأ وظيفة ممثلية يونامي (بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق) وفق قرار مجلس الأمن رقم 1500 في أغسطس 2003 يجدها غامضة حول الحدود التي يتحرّك فيها ممثل الأمين العام، هل تنحصر في ما تطلبه منه الحكومة من مساعدات فنية وخبرات لوجستية ضمن العهد الدولي تجاه العراق، أم تتجاوز ذلك إلى محاولة وضع حلول للأزمة السياسية التي »

تعصف بالبلاد منذ انفراد أحزاب الإسلام السياسي الشيعي بالحكم وقمعها للمعارضين وبيئاتهم الاجتماعية ومكوناتهم الطائفية بعد استسلام المجتمع الدولي إلى فكرة أن النظام القائم هو طائفي شيعي موالٍ لطهران.

هذه الضبابية المتعلقة بشرعية الحكم إزاء المنظمة الدولية التي أخرجت العراق من البند السابع إلى السادس جعلت من «يونامي» عجينة رخوة مهيّأة للعب على يد من يقودها. ويبدو أن من سوء حظ العراقيين أن تتسلّم المهمة امرأة لم تستمر في وظيفة وزيرة دفاع بلدها هولندا أكثر من سنة، حيث وجهت لها رئاسة حكومتها الشكوك في أوامرها بقصف وقتل المدنيين في العراق ضمن حملات التحالف الدولي ضد داعش 2014 ـ2017 هي تدّعي سعيها إلى بناء حوارات سياسية بين جميع الأطراف في البلد، لكن واقع الحال يقول إنها دخلت دهليز القوى الشيعية المسلحة دون الاكتراث بالقطاع الواسع المعارض المتمثل في ثورة أكتوبر التي غيّرت الواقع السياسي في العراق.

يجدر بممثلة الأمين العام للأمم المتحدة تحاشي الصراعات الداخلية العراقية والخارجية في ظرف حساس، والمحتجون العراقيون الثوار لا يطالبون بلاسخارت بالانحياز إلى محنة شعبهم في مواجهة دموية الميليشيات، لكنهم يرفضون انحيازها إلى القتلة، لأنها بذلك تتحول إلى خط دفاع لهم في الوقت الذي تتم فيه محاصرتهم شعبياً ودولياً.

بلاسخارت تعلم ولديها الوثائق والأدلة من تصريحات ومواقف زعماء الميليشيات وخوفهم من الانتخابات النزيهة، ومن بينها ما يدعون فيها إلى أن الانتخابات المبكرة هي مشروع أميركي، ربما في عهد دونالد ترامب وليس في عهد جو بايدن الواعد، لكنهم على ثقة وقراءتهم هذه المرة صحيحة بأن توفير متطلبات النزاهة والظروف الأمنية الخالية من سيطرة السلاح ومنع المال السياسي المعروفة مصادره من سرقة مال الشعب العراقي، وتعزيز الوسائل الفنية كالتسجيل البايومتري سيوفر فرصة جدّية أمام النخب الطلائعية النزيهة من الثوار والشخصيات الوطنية النزيهة لترشيح أنفسهم وسط إقبال جماعي من الناخبين، وليس 20 في المئة إلى صناديق الاقتراع.

بلاسخارت ووفق تقارير ميدانية كثيرة، انحازت إلى أحزاب الإسلام السياسي المسؤولة عن القتل والفساد والاستبداد، والمئات من المعلقين العراقيين شككوا في نزاهتها واتهامها باستلام رشاوى من الحكومة والأحزاب مقابل الصمت عن الانتهاكات ضد المتظاهرين في العراق. الأمم المتحدة تتعاطى مع واقع العراق على أنه محكوم من قبل الزعامات الشيعية الدينية والسياسية، لهذا دائما ما يلجأ ممثلوها إلى التقرّب واللقاء بالمرجع السيستاني لعله يعينهم في مهمتهم .ولقاء بلاسخارت معه لم يكن استثناء، لكن الظرف تغيّر عما كان عليه الوضع

رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي

عام 2003 و2005 اليوم أصبحت زعامات الميليشيات المسلحة الموالية لخامنئي وليس للسيستاني هي المتحكمة في الشارع، لهذا اضطرت إلى لقاء «الخال أبو فدك» في بغداد، في مسعى فاشل منها لتخفيف الاحتقان لأنها تعلم أن أي انتخابات مقبلة سيكون السلاح هو المهيمن على اتجاهاتها إلى جانب المال السياسي.

حين لم تجد في بغداد ما يلبّي جزءا من حلولها التي أعلنتها عام 2019 بعد لقائها السيستاني ذهبت، بعد توريط السفير الإيراني مسجدي لها، إلى بيت الوالي الكبير خامنئي في طهران ممثلا بولايتي الذي صدمها بتصريحاته الداعية إلى عدم شراكة أي جهة دولية لهم في تسيير شؤون الانتخابات في العراق , وأن امرها في طهران . ألا يتطلب التحول المهمّ الذي حصل في المسألة العراقية عام 2019 بتنفيذ مطالب ثورة أكتوبر بإجراء الانتخابات المبكرة ومجيء مصطفى الكاظمي للسلطة، من ممثلة الأمين العام للأمم المتحدة أن تضع في ميزانها هذا الثقل السياسي والميداني الجديد مقابل إعطائها كل الثقل للميليشيات وما تنفذه بأوامر من طهران في القتل وترويع المواطنين وإرهابهم؟

الانتخابات ومستقبل العملية السياسية

كان الأجدر بقادة هذه الأحزاب الاعتراف بالخطايا بحق الشعب، وإعلان اعتزالهم العمل السياسي، والاكتفاء بما نهبوه وما أصبحوا عليه من حياة باذخة لهم ولأسرهم في القصور، في حين يبحث بعض أطفال العراق عن الطعام بين أكوام القمامة، ويقاوم بعضهم الآخر الأمراض المستعصية والموت الذي يفتك بهم، ويعاني شبابه البطالة، حيث شمل الفقر ثلث سكان العراق وفق شهادة ممثلة الأمين العام للأمم المتحدة جنين هينيس بلاسخارت أمام مجلس الأمن.

من أخطر برامج تلك الأحزاب في الأيام المقبلة التي تسبق الانتخابات المبكرّة، إذا ما تحققت والتي يقودها رئيس حزب الدعوة نوري المالكي، فتح أبواب الفوضى الأمنية وسط وجنوب العراق تحت عنوان «المؤامرة على الشيعة» من أعدائها التقليديين، أميركا والبعثيين، المتمثلين حاليا حسب ادعاءاتهم بالحراك والثورة الشعبية، رغم الحقائق الدامغة برفض الشيعة لقياداتهم وعدم صلتهم بأي من الأحزاب المناوئة للنظام الحالي وبحقيقة صداقة المالكي للأميركيين الذين نصبوه في السلطة بعد إزاحة رئيسه إبراهيم الجعفري، الذي أهدى وزير دفاع المحتل الأميركي دونالد رامسفيلد سيف علي الكرار، وهيأ فصائل الميليشيات الولائية للدخول في صدامات مفتعلة تفتح أبواب الحريق الكبير والانفراد بدخول الانتخابات.

اللعبة المرتبطة بهذا الجهد الميداني الخطير هي زج عدد من الاستعدادات المسبقة في ميدان الانتخابات، لكي لا تخرج من قبضة الأحزاب الإسلامية، وفي مقدمتها تحييد سلطة الكاظمي ومنعه من فتح ملفي الفساد ومخاطر الميليشيات الإيرانية في العراق.

من الاستعدادات التي دخلت مرحلة التطبيق منذ أسابيع اختراق جسم ثورة الشباب في ميادين التحرير ببغداد والناصرية وغيرها من قبل بعض الناشطين الشباب المنتمين إلى أبرز الكيانات الشيعية خصوصا أنصار مقتدى الصدر الذي سيعاود لعبته التقليدية في مناصرة «الكادحين» رغم عدائه التاريخي للمالكي وتوافقه مع هادي العامري.

كانت عمليات اختراق الثورة وما زالت من أبرز المخاطر التي تهدد استمراريتها في الأيام المقبلة من خلال دعوة شبابها إلى انتخابات مبكرة، ولسان حال هذه الأحزاب المستكبرة يقول لهم «تريدون انتخابات مبكرة تفضلوا خذوها، ولكنكم ستكونون تحت أجنحتنا، فالمال والسلاح بأيدينا، وأنتم عزّل ليس لديكم سوى شعارات المعارضة وطرد إيران من العراق».

هناك فرصة تكتيكية أمام قيادات وكوادر ثورة تشرين للمحافظة على زخمها وفق خيارات لا تفقدها مكانتها عند العراقيين، وذلك بألا يعطي القانون الانتخابي الجديد الفرص لذات الأحزاب لتعيد سطوتها، وفضح لعبة المال السياسي والضغط على الكاظمي لتوفير البيئة الآمنة للانتخابات، وعدم الخضوع لإغراءات المال والجاه التي تقدمها الأحزاب، فشباب الثورة لم ينتفضوا للحصول عليها. إذا لم تتوفر هذه الشروط لا قيمة لانتخابات تكرّس بقاء أولئك المتسببين في دمار البلد.لا يهم شباب الثورة كما لا يهم العراقيين من يتولى السلطة بعد حل البرلمان وإلغاء جميع المواد الدستورية والقوانين التي كرست الهوية الطائفية والعرقية للعراق ما يهمهم تنحي هذه القوى الفاسدة عن مسيرة قيادة البلد. ■

من «متحدون ضد صفقة القرن» إلى «متحدون ضد التطبيع»

معن بشور*

في إطار التحرك الشعبي العربي المناهض للتطبيع بادرت هيئات شعبية عربية عابرة للأقطار إلى الدعوة لعقد مؤتمر عربي عام تحت عنوان «متحدون ضد التطبيع»، يحضره المئات من رؤساء وممثلي الهيئات والقوى والشخصيات العربية، لاسيّما الذين يعيشون في أقطار أقدمت حكوماتها على عقد اتفاقات تطبيع مع الكيان الصهيوني الإرهابي.

ويكتسب هذا المؤتمر الذي دعت إليه المؤتمرات العربية الثلاث (القومي العربي، القومي ـ الإسلامي، المؤتمر العام للأحزاب العربية)، مؤسسة القدس الدولية، الجبهة العربية التقدمية، اللقاء اليساري العربي، أهميته من عدّة أسباب:

أولاً: إن المؤتمر بهيئاته الداعية والمشاركين فيه يضم الأغلبية الساحقة من ألوان الطيف الفكري والسياسي العربي الرافض للتطبيع، بما يساعد في إيجاد الأجواء المناسبة للخروج من أجواء الصراع والانقسام الذي شهدته أكثر من ساحة عربية، والذي كان من أبرز الثغرات التي نفذت من خلالها مؤامرات التطبيع والاستسلام في الأمّة.

ثانياً: إن هذا المؤتمر يعتبر استكمالاً لمؤتمرين سابقين انعقدا في بيروت في صيف 2019 ، تحت عنوان «متحدون ضد صفقة القرن»، وشاركت فيهما كل فصائل العمل الوطني الفلسطيني والعمل الشعبي العربي، بل انعقدت على هامشهما لقاءات مهدت لمسار الوحدة الفلسطينية والتي نشهد خطوات على طريقها منذ فترة من الزمن، وهو مسار يشكل رأس الحربة في مواجهة صفقة القرن وفي مناهضة التطبيع والتتبيع.

وإذا كان الإجماع الفلسطيني والالتفاف الشعبي حوله قد أسهم بسقوط «صاحب» صفقة القرن ترامب في الانتخابات الرئاسيةالاميركية، تمهيداً لسقوط الصفقة نفسها، فأن الاجماع الفلسطيني اليوم والالتفاف الشعبي العربي والإسلامي حول مناهضة التطبيع سيكون له دور أساسي في إسقاط اتفاقات التطبيع الجارية حالياً.

ثالثاً: إن هذا المؤتمر يأتي ليؤكّد للعالم كله أنه إذا كان التطبيع مع العدو خيار حكومات رضخت لإملاءات واشنطن وتل أبيب، فأن لأبناء أمتنا، على اختلاف منابتهم الفكرية والسياسية خيار مختلف تماماً، وهو خيار المقاومة والانتفاضة حتى تحرير الأرض ودحر المحتلين عنها.

رابعاً: إن هذا المؤتمر الذي يواكب انعقاده خطوات إيجابية يسجلها المشهد الفلسطيني، وآخرها اجتماعات القاهرة ،وما أفرزته من نتائج، فهو أيضاً يشكل دعماً لهذا التوجه مدركاً أن دعم الخطوة التي تؤدي إلى تجاوز الانقسام الفلسطيني وتحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية على قاعدة المقاومة بكل أشكالها، لاسيما المسلحة منها، هو مهمة هذا المؤتمر المدرك أن التطبيع، كما صفقة القرن، ما كان لهما أن يمرا حتى الآن، لولا تلك الثغرات الكامنة في العلاقات داخل الشعب الفلسطيني وبين الأقطار العربية وداخلها.

خامساً: إن هذا المؤتمر ينعقد في أجواء تحولاًت هامة على الصعيد الفلسطيني (اجتماع القاهرة) وعلى الصعيد الشعبي العربي ارتفاع موجات المناهضة الشعبية للتطبيع، وعلى الصعيد الدولي (قرار المحكمة الجنائية الدولية باعتبار ولايتها تشمل الأرض الفلسطينية المحتلة، وقرار الاتحاد الإفريقي بإدانة المستوطنات الصهيونية والدعوة إلى مقاطعتها، وقرارات الاتحاد الأوروبي) الخ. بما يشير إلى إمكانية استثمار هذه التحولات لصالح مشروع دحر الاحتلال ووقف الاستيطان وإنهاء معاناة الأسرى والحفاظ على هوية القدس العربية والإسلامية.

سادساً: إن هذا المؤتمر كغيره من المؤتمرات المماثلة هو خطوة على طريق إعادة تجميع القوى الشعبية العربية المتمسكة بالحق الفلسطيني وبالمقاومة كخيار في مواجهة الاحتلال، والرافضة لصفقة القرن ومخرجاتها التطبيعية، وبناء الكتلة الشعبية العربية الجامعة التي تعيد إلى الشارع زخم التحركات الشعبية الضخمة منذ الحروب على العراق وفلسطين ولبنان في العقد الأخير من القرن الماضي والعقد الأول من هذا القرن، والتي تشهد انتكاساً وتراجعاً منذ عشر سنوات بعد توترات ما يسمى «بالربيع العربي» الذي نجحت أجندات مشبوهة في حرفه عن مطالب الجماهير المشروعة.

سابعاً: إن هذا المؤتمر من شأنه، كشأن غيره من المبادرات والمؤتمرات المماثلة، أن يسهم في إعادة تصحيح البوصلة باتجاه التناقض الرئيسي الذي تواجهه الأمّة بين مشروع نهوضها من جهة، وبين المشروع الصهيو ـ استعماري، وفي تحديد العدو الرئيسي للأمّة وهو العدو الصهيوني وكل من يساعد هذا العدو على التحكم بمصيرنا واحتلال أرضنا وإرادتنا معاً.

ثامناً: إن هذا المؤتمر ينعقد في ظل تقدير القيمين على التحضير له بأن هناك في كل عاصمة سلك حكامها طريق التطبيع، صراعاً ليس بين الحاكم والشعب فحسب، بل داخل الدوائر الحاكمة نفسها، وبالتالي فأن نجاح كل مبادرة شعبية مناهضة للتطبيع تسهم في تقوية مواقف الرافضين للتطبيع بوجه المهرولين إليه.

تاسعاً: إن هذا المؤتمر هو إعلان صريح عن رفض القوى الحية في الأمّة لمسار الهرولة التطبيعية الذي انتهجه بعض الحكام وبالتالي فهو يشكل فعل تحد لك.■

السودان لا يتخلى عن واجبه

■ أكثر من 30 مناضلاً ومناضلة سودانياً أرسلوا في اللحظة الأخيرة رغبتهم بالمشاركة في مؤتمر «متحدون ضد التطبيع» وهم بعض أركان تنسيقية «القوى الشعبية السودانية المناهضة التطبيع» التي أخذت على عاتقها اسقاط اتفاقات التطبيع والتتبع والحفاظ على تراث السودان الوطني والعربي والإسلامي والافريقي، ومشددين على أن السودان مهما بلغ سوء أوضاعه الداخلية، ومهما اتسع الفقر والجوع وتردي الخدمات، لا يمكن ان يتخلى عن واجبه تجاه القدس والأقصى وتجاه كل حق فلسطيني وعربي مهدور.

فتحية للمشاركة السودانية التي تكمل مشاركات عربية أخرى من كل الأقطار، وتحية لمنسق «القوى الشعبية السودانية» لمناهضة التطبيع الدكتور عثمان الكباشي الذي سيضع المؤتمر في صورة التجربة السودانية في مناهضة صفقة التطبيع.

تجاوب معبّر

■ كم يشعر الواحد منا بالاعتزاز وهو يتابع التجاوب الواسع من مناضلي الأمة من المحيط الى الخليج، ومن أبنائها الموزعين في قارات الدنيا الخمس، مع الدعوة للمؤتمر العربي العام «متحدون ضد التطبيع» والذي تجاوز العدد الذي تسمح به قاعة «الزوم» أي 500 مشارك بما يؤكد ما أكدناه دوماً، بأنه اذا كان التطبيع خيار حكومات، فهو بالتأكيد ليس خيار الشعوب بل نقيض طموحاتها وأهدافها.

واكثر ما يسعد في هذا التجاوب هو مشاركة عدد كبير من «عرب الشتات»، فلسطينيين وغير فلسطينيين، وهو تجاوب يحمل رسالتين معاً، رسالة وحدة الامة ضد التطبيع والمهرولين اليه، ورسالة للعالم أجمع انه مهما أبتعد الفلسطيني عن ارضه، والعربي عن وطنه، فأن أحداً لا يستطيع ان يحول دون تمسكه بأرضه وحقه ووحدته.

هذه أمتكم.. أمة واحدة ..فلا تستسلموا لدعاة الفرقة والتشرذم فيها.

---

* الامين العام السابق للمؤتمر القومي العربي

حكاية شركة اسمها «الحديد والصلب»

معركة من اجل الماضي أم تطلعا للمستقبل؟

لندن: أمين الغفاري

تشهد الساحة السياسية والاعلاميه في مصر هذه الايام جدلا واسعا حول قرار اتخذه وزير قطاع الاعمال هشام توفيق بناء على قرار الجمعية العمومية ،بتصفية شركة (الحديد والصلب)، وهو قرارذكر الوزير نفسه انه القرار الاصعب الذي واجهه في تاريخ حياته المهنية حتى الآن ،وبالتاكيد ان هذا القرار ليس هينا ،فالشركه لاتكمن اهميتها في تاريخها الطويل، بقدر ما يتعلق بالدور الذي لعبته ومايمكن ان تقوم به ايضا كما يرى معارضوه في مستقبل الأيام ،فالشركة في قناعتهم ليست تراثا شيده زعيم ،ولكنها دور محوري في بناء نهضة عظيمة اسفرت عن تشييد أكثر من الف ومائتي مصنع . كانت تلك الشركة فاتحة الصناعات الثقيله في مصر التي عمدت الثورة الى انشائها اوائل الخمسينات، وتحديدا عام 1954 كان عبدالناصر، كما صرح بذلك معنيا بقضيتين اثنيتين،جعلهما هدفا للثورة في قيامها وفي حركتها هما: الأول تحقيق الجلاء عن مصر،واستقلالها كدولة حرة.الثاني اعادة بناء مصر من جديد كدولة تلحق بركب الحضارة. وقد جاء هذا التصريح ردا على محاولة احد اعضاء مجلس العموم البريطاني التوسط بين مصر واسرائيل من اجل الوصول الى تفاهم ،بمناسبة قيام عهد جديد في مصر، بقيام الثورة، واعلان الجمهورية وكان ذلك الرد بمضمونه المباشر مثيرا لغبطة النائب البريطاني لأنه لم يتضمن اسم اسرائيل كهدف يسعى الى تدميره ،فسارع للقاء بن جوريون رئيس الوزراء الاسرائيلي في ذلك الحين ونقل اليه هذا الأمر.ادرك بن جوريون معنى آخر أكثر عمقا لذلك التصريح، وقال: «هذا أسوأخبر سمعته فاستقلال مصر يعني حرية قرارها، اما اعادة بناء مصر،فمعناه على الجانب الآخر دمار اسرائيل». ترتيبا على ذلك كان الهدف الثاني - بعد توقيع اتفاقية الجلاء مع البريطانيين عام- 1954 بناء مصر، ومن ثم شرع عبدالناصر في تحقيق ذلك الهدف .كانت مصر في تلك المرحلة من التاريخ توصف بأنها دولة زراعيه،تعتمد على زراعة القطن ،حيث يشكل عائده من عملية البيع والتصدير الدخل الأول والاساسي للميزانية المصريه ،وكانت الصناعة عاملاً هامشياً ،وتتركز أساسا في بعض المصانع المحدودة الانتاج والتوزيع،وأشهرها مصنع الشوربجي للنسيج ومصنع السكر لعبود باشا ،ومصنع ياسين للزجاج، وتلك مصانع وما على شاكلتها ان وجدت تعمل على خدمة مجتمع يعيش اغلب طبقاته في حنايا الفقر المدقع كالفلاحين وهم السواد الاعظم في مصر الذين يعانون من الامراض المتوطنه كالبلهارسيا والانكلستوما والاسكارس،واشهر المرضى والضحايا لهذه النوعية من الامراض المطرب عبدالحليم حافظ، وعمالة محدوده، ذات امكانات متواضعه،ومع ذلك لم تسلم من التزييف ،فقد تشكل حزب سياسي (للعمال) في العهد الملكي وقام برئاسته) النبيل عباس حليم (من الأسرة المالكه العلوية،وكما يقولون في الامثلة المصرية (الجواب يبان من عنوانه) حزب للعمال يرأسه واحد من النبلاء البارزين،في الوقت الذي لم يكن فيه العمال يشكلون طبقة ،أو حتى طائفة بالمعنى المفهوم فما هي الرساله،ومن هم المعنيون بها ؟!

إعادة بناء الدولة

صدر قانون الأصلاح الزراعي،في سيتمبر عام 1952، وبدأ الفلاح المصري يدخل عصرا من التحرر الاجتماعي،مع بداية التوسع في الرقعة الزراعية عن طريق استصلاح الاراضي،وغزو الصحراء، وكانت البداية في انشاء مديرية التحرير، ثم امتدادا في انشاء الوادي الجديد،حيث نبت اللون الاخضر على الأرض القاحله في الصحراء وظهرت على الخريطه بذلك محافظة جديده باسم (الوادي الجديد) ثم انشاء السد العالي لاحقا ،وآثاره في الزراعة من خلال وفرة المياه على الجانب الآخر، كان الدخول الى عصر الصناعة ،ايذانا بدخول عصر النهضة،بما توفره الصناعة،من احتياجات توفرها للمجتمع من انتاجه المحلي عوضا عن الاستيراد، كذلك بما توفره من مواقع للعمل في مجتمعات تعاني اساسا البطاله وزيادة مطردة في عدد السكان،كما أن الصناعة تفتح المجالات للتفكير العلمي ،وعالم الميكنه والاختراع والابتكار،ودخلت مصر الى هذا العالم الذي سبقتنا اليه دول كنا لها مجرد سوقا موسعه لأنتاجها ،ومعبرا لمستعمراتها، وميدانا لسطوتها في الاحجام عن شراء القطن أوغيره من منتجاتنا الأولية، ان لم نصدع لأوامرها ،فضلا عن صناعة السلاح أو قطع الغيار ،وكلها عوامل ضغط على القرار السياسي. دخلت مصر الى ذلك العصر الجديد من الأنتاج بانشاء المصانع ،وكانت البداية حين استدعى عبد الناصر المهندس الشاب الدكتور عزيز صدقي 1956 وقلده وزارة الصناعة،وهو يلقب الآن بـ «أبو الصناعة المصرية» كانت رسالته للدكتوراه عن (حتمية التصنيع في مصر) ليقدم نموذجا لما يحققه الأستثمار الأمثل للكفاءات والقوى البشرية، وقد ذكر عزيز صدقي في واحدة من احاديثه الصحفية ،كيف طلب منه عبدالناصر برنامجا طموحا للتصنيع في مجالات الحديد والصلب (تم انشاءه 1954) والنسيج والصناعات الغذائية والأسمنت والدواء والسيارات ومواد البناء والسكر ،وكان تعداد مصر في ذلك الوقت 19 مليونا، والزياده السكانية نحو مليون و 300 الف نسمة ،والهدف ان يكون استهلاكهم من زرع ايديهم وانتاج مصانعهم بما يوفر احتياجاتهم ومطالبهم الرئيسية.انتشرت المصانع على مستوى الجمهورية ،وكانت. منطقة حلوان القريبه من القاهرة، وعلى الأخص (مدينة التبين) احدى قلاع النهضة الصناعيه، وبني على ارضها (شركة الحديد والصلب) بعتابرها واقسامها والمدينه السكنية لعمالها في مساحة تبلغ حوالي ثلاثة آلاف فدان وهي الشركة الأم للصناعات الثقيله، وعلى مقربة منها شركة النصر لصناعة الكوك والكيماويات الاساسية، وشركة حلوان للأسمدة، والشركة القومية للأسمنت، وشركة اسمنت حلوان، والشركة المصرية للمعادن وغيرها.

محاولة تصفية تجربة عبد الناصر

بدأت محاولة تصفية التجربة الناصريه في عهد الرئيس الراحل انور السادات،وقد استهلها بما يسمى قضية (مراكز القوى عام1971)، وبعد حرب أكتوبر 73 اعلن الانفتاح الذي لقبه الراحل احمد بهاء الدين (الأنفتاح السداح مداح) بفتح ابواب الاستيراد، ومنافسة الصناعة الوطنيه، ثم بالتحالف مع جماعة الأخوان ،واحياء التيارات السلفية، التي اودت به في النهاية. تبعه الرئيس الراحل المخلوع حسني مبارك، وفي عهده تعانقت السلطه مع رأس المال لتخريب الصناعة الوطنية وتكهين المصانع لكي تباع (خردة) بأبخس الأثمان ،وكتب في حينها الراحل احمد بهاء الدين ان عبدالناصر لم يترك متاحف وتماثيل واهرامات ولكنه ترك مصانع ومشروعات تحتاج الى رعاية وصيانه وقطع غيار وخامات وتجديد، وتحديث ،وتركها بكل هذا الاهمال يعرضها للتخريب،ومن ثم للتصفية بدعوى عدم الانتاج والخسارة التي يصعب تحمل نتائجها. ونقرأ في جريدة المصري اليوم بتاريخ 12 سبيتمبر 2014 تقريرا بعنوان (عاطف عبيد مهندس الخصخصه قالت فيه): يعد عاطف عبيد مهندس الخصخصة، التي بدأت في منتصف التسعينيات، وهاجمها الكثيرون واعتبروها خطوات للخلف وارتداداً على مكتسبات ثورة يوليو، حيث جري بيع العديد من مصانع القطاع العام التي أنشئت في عهد الثورة .غير أن هيئة الرقابة الإدارية أصدرت تقريرًا إلى مؤسسة

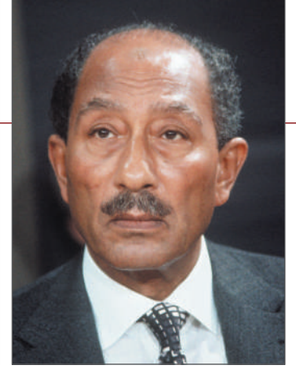

الرئيس الراحل انور السادت

الرئيس الراحل حسني مبارك

الدكتور عزيز صدقي

الرئاسة أكدت فيه تزايد معدلات الفساد في مصر خلال فترة توليه رئاسة الحكومة، وقدرت حجم الأموال المختلسة بـ 500 مليون جنيه، وهو ما أكدته منظمة الشفافية الدولية التي ذكرت أن قطاع الإسكان والتعمير كان أكثر القطاعات التي انتشرت فيها قضايا الفساد. والغريب ان يصدر عن رئيس ديوان مبارك السيد / زكريا عزمي يقول فيه،وفي اجتماع رسمي لمجلس النواب (ان الفساد في المحليات قد بلغ حد الركب) ،ونسمع من السيد /عاطف عبيد عندما سئل عن فلسفته في اتباع سياسة الخصخصة، أكد في ندوة له بالصالون الثقافى للجمعية المصرية لتكنولوجيا التسويق، أغسطس 2009 اعتمدنا فى تجربة بيع جزء من الملكية العامة والقطاع العام على مقولة (احسبها وتوكل)، وقد تولدت عندي قناعة بأن الإدارة فن وليست علماً مثل العلوم المتعارف عليها«.حامت حوله اتهامات تتعلق بالفساد وإهدار المال العام، فيما يخص بيع شركات القطاع العام، وكذلك في قضية بيع محمية «جزيرة البياضية» بالتعاون مع وزير الزراعة الأسبق، يوسف والي، لرجل الأعمال الهارب حسين سالم، غير أن القضاء يعيد محاكمته في هذه القضية بعد ان حكم عليه بالسجن عشر سنوات.

تصفية شركة الحديد والصلب

تستحق هذه الشركة الرمزية التاريخيه فهي شركة عملاقه من حيث نشأتها المبكرة، وفتح من اجلها اكتتاب شعبي، وقد ساهمت بشكل كبير في بناء السد العالي وتنفيذ الخطة الخمسية الاولى من حيث توفير حديد التسليح وفي حرب الاستنزاف وبناء حائط الصواريخ ،ومساهماتها في صناعة السلاح وبناء المصانع ،ومن ثم فهي تعد رمزا لأستقلال الارادة الوطنيه، ولذلك كان الاعلان عن تصفيتها يمثل صدمة كبيره للكثيرين سواء من جماهير الشعب أو اصحاب الراي،.حول تصفية الشركة يقول المهندس الدكتور نادر رياض - الأهرام 19/1/2021 بعنوان «تبعات تصفية شركة الحديد والصلب» وهو يوجه حديثه للذين يهونون من أهمية وقيمة ودور هذا المصنع فى صناعاتنا الوطنية خاصة الصناعات العسكرية أنه الوحيد الذى ينتج ألواح الصلب المجمد المعد للسحب العميق الذى تحتاجه صناعة أوعية الضغط والذى يتمتع بقابلية ممتازة للحام دون باقى المصانع، وانه الوحيد الذى ينتج الزوايا الصلب والقطاعات المختلفة وقضبان الترام وسكك الحديد والمناجم دون غيره من المصانع، بالإضافة إلى حديد التسليح.

على جانب آخر يقول المهندس خالد الفقي، عضو مجلس إدارة الشركة القابضة للصناعات المعدنية، نائب رئيس الاتحاد العام للعمال، في تصريحات خاصة «للمصري اليوم» إن هذا الطرح وهذه الخطوة ستدمر واحدة من أكبر القلاع الصناعية في العالم وفي الشرق الأوسط بأكمله والتي كان لها ولا يزال الفخر في تطوير الصناعة المصرية والمشروعات القومية بداية من السد العالي ومروراً بالمشروعات القومية الأخرى، وهي صاحبة الفضل في إنشاء شركات الحديد والصلب في عدد كبير من الدول العربية كالجزائر والسعودية، وغيرهما واشار الى ان هذه الشركة من تغذي مستشفيات مصر بإسطوانات الأكسجين في ظل جائحة كورونا، وتم عمل عمرة بها للفرن رقم 3 عملاق الافران بها وأيضا لبعض الغليات في عام2017 ، لأن الأفران العالية لا توجد إلا في شركة الحديد والصلب المصرية وفي روسيا فقط وغير ذلك لا توجد أفران عالية في العالم، وليس صحيحاً ان تزايد ديون الشركة جاء بسبب زيادة عدد العمال، لأن حجم العاملين بالشركة تقلص إلى ستة آلاف ونصف بعد أن كان واحداً وعشرين ألفاً، ومن المتوقع ان يصل العام المقبل إلى 4500 فقط، لكن السبب الحقيقي في الازمة هو سوء إدارة الشركة القابضة التي لا تريد صيانه معدات الإنتاج، وارتفاع أسعار الطاقة من كهرباء وغاز، ففي حين رفعت الدولة سعر الغاز أضعاف الأضعاف، طالبت الشركة أن تدفع بأثر رجعي كل ديونها للغاز والكهرباء الذي لم تكن الشركة القابضة تسدده .

وتصدر تصريحات وزير قطاع الاعمال يقول فيها انه لامناص من التصفية، وان اسباب العلاج قد تأخرت كثيرا، ويحمل مسؤولون كبار في الشركة على تعدد مجالس الادارة التي ادارت تلك الشركة المسؤولية الكاملة، وانهم قد قصروا، وحين ساله مقدم البرنامج التلفزيوني لماذا لا يحاسبوا على ذلك قال ليس ذلك عملي ،ولكنه عمل النائب العام. ثم يصدر بيان من مجلس الوزراء بتاريخ 17 يناير الماضي ،يشرح فيه لكل من آثارهم نبأ تلك التصفية لهذا المصنع تحديدا . جاء في البيان الآتي: يعتبر السبب الأساسي لتحقيق تلك الخسائر هو تقادم التكنولوجيا المستخدمة وانخفاض تركيز الحديد المستخرج من مناجم الشركة فى الواحات، والذي لا يتعدى 50% فى المتوسط، مما يساهم فى الاستهلاك الكبير من فحم الكوك والغاز في العملية الإنتاجية وتضخم التكاليف المباشرة، حيث إن التركيز المطلوب للإنتاج بصورة اقتصادية هو في حدود. 60% كما أن سوء حالة الأفران والتوقفات المتكررة للفرن الرابع وصلت إلى 92% قد ساهمت في ارتفاع استهلاك الطاقة، حيث وصل نصيب الطن المنتج من عناصر الطاقة في الحديد والصلب 44,3 مليون وحدة حرارية بريطانية مقابل 20,6 مليون وحدة حرارية بريطانية/طن في المصانع المنافسة، وذلك بخلاف الكوك الذي يصل نصيب الطن منه بالنسبة لشركة الحديد والصلب 1300 كيلو مقابل متوسط عالمي لاستهلاك الطن من300 -600 كيلو. في اطار الضجة القائمه حول الشركة، وصراع النظرة حولها، تاريخها ودورها، وايضا واقعها وأختلالاتها يبرز طرف آخر، ويقدم دفعا. ويطالب بحق وهو المهندس طارق محمود فتح الله، وكيل ورثة وقف حسن على بكباشي، ويقول أنه بدأ في إقامة دعوي قضائية عاجلة، لوقف التصرف في الأراضي التي تقام عليها هذه الشركة، سواء بالبيع أو التنازل أو أي تصرف آخر، لأنه وأبناء عمه بصفتهم أحفاد حسن على بكباشي، المالك الأصلي لهذه الأرض قبل مصادرتها يملكون سدس هذه الأرض وعلي المشاع، وأن لديهم كافة الأوراق والمستندات الدالة على ملكيتها.ويذكر أن الجمعية العامة غير العادية قد قررت الموافقة على تقسيم الشركة إلى شركتين، شركة الحديد والصلب التي ترغب في تصفيتها وشركة المناجم والمحاجر، ومن المنتظر أن يدخل القطاع الخاص شريكا فيها لتشغيلها خلال المرحلة المقبلة.

يوم ان قام الرئيس الراحل انور السادات،واعلن حركته التصحيحيه او ما اسماه كذلك وقف بجانبه الدكتور عزيز صدقي ،وأصدر بيانا مساء 13 يونيو عام 1971 ،يعلن مؤازرته، واصبح بعدها رئيسا للوزراء ،ثم نحاه بعد ذلك ،ليشهد التحول السياسي والاقتصادي والاجتماعي من الانفتاح الاقتصادي (السداح مداح) الذي هب على مصر ،ثم ظهور الطبقه الطفيليه من تجار السوق السوداء واشهرهم توفيق عبدالفتاح ورشاد عثمان في الاسكندرية ثم تصفية القطاع العام وبيع الشركات وفصل العمال ،الذي بدأ في عصر السادات ،واستكمل طريقه في عهد حسني مبارك حيث تم زواج السلطه ورأس المال، وصرخ عزيز صدقي مخاطبا عاطف عبيد (رئيس الوزراء الذي يتولى البيع) ان كنا نبيع المصانع الآن فلماذا بنيناها اذن؟ ولكنها صرخة بواد، ولا مجيب. لقد بنى عبدالناصر المصانع، وأصلح الكثير من الأراض، بل ووسع الرقعة الزراعية ،وناصر حركة التحرر العربيه والأفريقيه ، وخاض الحروب ولم ترهق الميزانية المصرية، في حين أن الفساد، والاهمال وعدم القيام بأعمال الصيانه والتجديد للماكينات ،والتطوير والتحديث صنع اثاره ،ونخر وخرب الزراعة والصناعة حتى تباع بأبخس الأثمان. هل نحاسب الآن مسؤولين كباراً تعاقبوا على مقاعد الادارة ونكتفي، أم نأخذ الدرس ونتعظ، فما أعظم دروس التجربة ،وما اروع عظة التاريخ. ■

شكّل تراجع احتياطاتها الدولية سببا رئيسياً لتراجع الليرة التركية

التضخم شوكةٌ في «جسد» اقتصاد تركيا

بيروت: هلا صغبيني

دخلت تركيا العام 2021 على وقع تضخم كبير تخطى تقديرات مصرفها المركزي، وتمنايته .فالبيانات الرسمية أظهرت ارتفاع المعدل السنوي للتضخم بأكثر مما كان متوقعاً ليصل إلى 14.97 في المئة في كانون الثاني (يناير)، وسط شكوك بتخطيه هذه النسبة بحوالي الثلاثة أضعاف.

وكان الاقتصاد التركي تضرر بفعل الضغوط السلبية الناجمة عن تفشي جائحة كورونا، وتوقف عجلة السياحة بسبب القيود الدولية الصحية، وتراجع الطلب العالمي على الاستهلاك .

الأرقام المعلن عنها عن مستوى التضخم وارتفاع الأسعار تعني أن جهود حاكم المصرف المركزي الجديد ناجي إقبال لم تكن كافية لاقتلاع شوكة التضخم من" جسد "الاقتصاد التركي على طريق استعادة ثقة الشعب به. وهو الهدف الأساس الذي عُين من أجله. فإقبال، وزير المالية السابق ورئيس إدارة الإستراتيجية والموازنة في الرئاسة التركية والعارف أصلاً بخفايا الأرقام وخباياها، رسّخ فور تسلمه منصبه صورة المسؤول الذي سيكافح التضخم عبر سياسة نقدية متشددة" عدّتها "زيادة سعر الفائدة تستهدف الوصول الى مستوى تضخم 9.4 في المئة نهاية العام الجاري لينخفض إلى 7 في المئة في 2022 و5 في المئة في 2023 استنجد به الرئيس رجب طيب أردوغان في تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي بالتوازي مع تعيينه وزيراً جديداً للخزانة والمالية (أملاً في إنقاذ سفينة الاقتصاد من الغرق بعدما تراجعت الليرة التركية إلى أدنى مستوياتها القياسية مقابل الدولار الأميركي حيث كان هبوطها الأشد حدّة في الأسواق الناشئة بعد البيزو الأرجنتيني .

زيادة أسعار الفائدة هذه التي عززت قيمة الليرة بعض الشيء، جاءت على مرحلتين: الاولى في 20 تشرين الأول) نوفمبر 2020 (حيث ارتفعت إلى 15 في المئة من 10.25 في المئة، والثانية في 25 كانون الأول) ديسمبر 2020 (لتقفز إلى 17 في المئة .

ولكن يبدو أنها لم تشكل حافزاً مهماً لدفع الأتراك الى تحمل مخاطر الاحتفاظ بالليرة التركية، فآثروا الاستمرار في مراكمة ودائعهم بالعملات الأجنبية .بدليل أن الودائع بالعملات الأجنبية للمقيمين سجلت رقماً قياسياً لـ 10أسابيع متتالية، لتصل إلى 234.8 مليار دولار أميركي، بحسب بيانات المصرف المركزي المنشورة في 25 كانون الاول (ديسمبر). ومن غير المرجّح أن يخفف هؤلاء من حجم حيازاتهم بالعملة الصعبة، بما أنّ لديهم شكوكاً حول استقرار السياسات النقدية والحكومية. ماذا يعني ذلك؟ سيكون المصرف المركزي مضطراً إلى الالتزام بهذه السياسة لفترة أطول مما كان متوقعاً، وقد يتجه الى إقرار زيادة جديدة حتى يقع التضخم ضمن نطاقه المستهدف .

صحيح أن سياسة زيادة أسعار الفائدة لم تنجح في كبح معدلات الدولرة في الودائع، الا أنها ساهمت في المقابل في زيادة تدفقات رأس المال قصيرة الأجل (المعروفة بالأموال الساخنة)، ما عزز قليلاً احتياطات المصرف المركزي من النقد الأجنبي بعدما كانت بلغت مستويات دنيا) انخفضت الاحتياطات الصافية باستثناء مقايضات العملات الأجنبية بنحو 70 مليار دولار عام (2020)، وساعد بالتالي في تحسين قيمة العملة المحلية .

وكانت تركيا أنفقت أرصدتها من العملات الأجنبية بشكل أسرع من أيّ اقتصاد نامٍ رئيسي آخر خلال العام 2020، وشكّل تراجع احتياطاتها الدولية سبباً رئيسياً لتراجع الليرة التركية. وتتطلب إستعادة تعزيز هذه الاحتياطات أسعار فائدة أعلى، ورفع معنويات المستثمرين، بما يحفز تدفقات رأس المال الأجنبي .

مواجهة محتملة

سياسة زيادة أسعار الفائدة قد تواجه مقاومة من الحكومة .الأمر الذي تداركه حاكم المصرف المركزي باكراً، فقرر إحراجها عبر رسالة علنية حضها فيها على مساندته ودعمه في إجراءاته من خلال اتخاذ خطوات حاسمة وإصلاحات هيكلية تضمن الحد من التقلبات في التضخم وتعزز استقرار الأسعار. وكانت لافتة «علاقة المساكنة» بين إقبال ووزير الخزانة والمالية لطفي ألوان غير المألوفة في العادة بين حاكم مصرف مركزي ووزير مالية .

فلطفي ألوان أعلن جهاراً تأييده لسياسة المصرف المركزي، وعدم تخليه عن الإجراءات اللازمة للوصول إلى معدلات التضخم المستهدفة، من منطلق أن لا نمواً مستداماً من دون استقرار في الأسعار.

استقلالية المصرف المركزي

ولكن إلى أي حد سيبقى المصرف المركزي التركي متشبثاً بتطبيق سياسته المتشددة؟ سؤال يطرحه بإلحاح المستثمرون والخبراء اليوم مستندين الى «الخروقات» المتكررة للرئيس التركي تجاه هذه المؤسسة ونسفه مبدأ استقلاليتها ومخالفته قوانينها بعزله حاكمين بـ"شحطة قلم"، وهو ما أثار، ولا يزال، انتقادات المؤسسات المالية الدولية .حتى أن مؤسسات تصنيف دولية رأت في تدخل الرئيس التركي في قرارات المصرف المركزي وفي موضوع سعر الفائدة «مشكلة» انعكست سلباً على سعر صرف الليرة التركية .

وكان أردوغان عزل مراد أويصال الذي كان يفترض أن يبقى في موقعه حتى العام 2023 ، وقبله مراد جتين قايا .حجته في ذلك الانهيار الكبير لليرة التركية مقابل الدولار .والتكهنات الراهنة أن يفرمل أردوغان تصميم إقبال على مواجهة التضخم ويمنع استمراره بسياسته النقدية المتشددة .لا بل من المرجح أن يعيد إعادة ضبط السياسة النقدية لتكون أكثر ملاءمة للنمو، من دون أن يأخذ في الاعتبار ما إذا كان هذا الأمر يهدد استقرار الأسعار على المدى الطويل .

ويبدو أن أردوغان أشهَر سلاح المواجهة بموقف يؤشر الى طبيعة العلاقة مع المصرف المركزي في المرحلة المقبلة .فإعلان الأخير الاستمرار في سياسته النقدية المتشددة بعد صدور أرقام التضخم، قابله رد صارم من اردوغان .قال إنه سيستحيل على البلاد تحقيق أهداف التضخم مع بقاء أسعار الفائدة مرتفعة، وأن خفضها سيساعد أيضا في زيادة التوظيف والاستثمارات .

يقول مطلعون إن أردوغان يتخوف من إقدام رجال الأعمال على خفض اقتراضهم من المصارف في ظل زيادة الفائدة، لأن هذا الأمر سيؤثر سلباً على تراجع معدلات الاستثمار، وسيكون له بالتالي تداعيات سلبية على رفع معدلات البطالة .

فهل سينجح إقبال في مواجهة رغبات رئيسه، أو أنه سينصاع لها حتى لو اختلفت الدوافع بينهما، سيما وأنه يُستبعد أن تتخلى شخصية تتمسك برأيها مثل أردوغان عن وجهة نظرها؟.

أما مكمن الخطر الأكبر هو في أن يقدم أردوغان مع اقتراب الانتخابات المقرر إجراؤها عام 2023 ، على تعيين حاكم آخر للمصرف المركزي يكون مكلفاً بمهمة خفض أسعار الفائدة بعد أن يكون إقبال مُنح الوقت الكافي لتحقيق بعض الاستقرار في الاقتصاد.

حاكم المصرف المركزي التركي الجديد ناجي إقبال

مؤشرات الـ 2020 وتوقعات الـ2021

لقد كانت تركيا واحدة من الدول القليلة حول العالم التي تحقق نمواً اقتصادياً إيجابيًا عام 2020 بسبب سياسة إبقاء أسعار الفائدة أقل من التضخم وتحفيز نمو الائتمان. تكرار هذا الحافز غير ممكن في العام. 2021 فالحكومة التي اختارت مواجهة الانكماش الاقتصادي الذي تسبب به فيروس كورونا من خلال تحفيز الإقراض بدلاً من منح الدعم المالي المباشر للأسر، وصلت الآن إلى جدار مسدود في معدلات التضخم والقيود المفروضة على الموازنة .وفي المقلب الآخر، بلغت القروض المتعثرة في النظام المصرفي التركي مستويات مرتفعة قد تتعدى الـ 20 في المئة من الحجم الإجمالي للإقراض، الأمر الذي يصعب معه الاستمرار في هذا الخيار.

كما أن تزايد الضغوط على الاقتصاد التركي أدى الى تدهور الحساب الجاري وتسجيله عجوزات كبيرة وصلت الى حدود الـ 40 مليار دولار في نهايات العام الماضي بعد فائض بـ 8 مليارات دولار خلال العام 2019 وقد بلغت الفجوة حدود الـ الى 4.5 في المئة من الناتج المحلي، ولا قدرة على سدّها من عائدات السياحة أو من القطاع الخاص أو الاقتراض الخارجي للمصارف، أو حتى عن طريق زيادة الاستثمارات المباشرة .فمداخيل السياحة تدنت الى حدودها الدنيا. والاستثمارات المباشرة انخفضت إلى ما يقرب من الصفر .والأموال الساخنة هربت .والقطاع الخاص اضطر الى سداد ديونه الخارجية. ولم يبق مصدر لتمويل هذا العجز المتزايد سوى احتياطات المصرف المركزي من العملات الأجنبية والتدفقات الوافدة من الخارج، مما فاقم الضغط على الليرة.

صندوق النقد الدولي من جهته يتوقع انخفاض عجز الحساب الجاري إلى 3.5 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي في 2021 مع عودة نشاط القطاع السياحي. كما يتوقع تراجع التضخم قليلاً نهاية 2021 من دون أن يصل الى المستوى المستهدف مع ترحيبه بتشديد السياسة النقدية والتباطؤ الملحوظ في الإقراض المصرفي المملوك للدولة .لكنه، وإن توقع نمو اقتصاد تركيا بنحو 6 في المئة هذا العام، حذر في المقابل من انخفاض احتياطات النقد الأجنبي، ومن ارتفاع احتياجات التمويل الخارجي، وزيادة الودائع المحلية بالعملات الأجنبية .

ختاماً، إنّ أكثر ما يمكنه التأثير إيجاباً على مستقبل تركيا ودرجة تصنيفها الائتماني، هو نجاحها في خفض معدل التضخم بطريقة مستدامة، وإعادة بناء سياسة نقدية ذات صدقية، وتعزيز الثقة في استدامة التمويل الخارجي، وزيادة مدخراتها المحلية، والحد من الدولرة، وتقليل الاعتماد على الاقتراض الخارجي .هذه الإجراءات ستمهد الطريق بالتأكيد لعملة محلية أقوى واحتياطات أعلى وتساهم في زيادة معدلات النمو، لا سيما عندما تقترن بإصلاحات أوسع، بما في ذلك خطوات لدعم استقلالية المصرف المركزي ومراجعة فنية لإطار السياسة النقدية في الوقت المناسب . ■

الأتراك يعانون من الارتفاع الكبير لأسعار المواد الغذائية

مستقبلات

البروفسور مازن الرمضاني*

منظمة الأمم المتحدة ومشاهد مستقبلات الحاضر في عام 2030

في عدد الشهر الماضي من الحصاد، ذهبنا إلى الآجابة عن السؤال: كيف أضحى أداء منظمة الآمم المتحدة منذ بداية التسعينيات من القرن الماضي وصولاً إلى الآن؟ وقد انتهى هذا السؤال إلى أن هذا الآداء كان متباينا: ناجحا في أحيان وفاشلاً في أحيان أخرى جراء مدخلات عامة وأخرى خاصة. في هذا العدد من الحصاد ، سنعمد، إستكمالاً للسؤال الآول، إلى الآجابة عن السؤال التالي: كيف يمكن و/أو يحتمل أن تكون مشاهد مستقبلات حاضرهذا الآداء في عام 2030 ؟ ابتداءً ,نقول أن المستقبل لا يقبل الآنغلاق على مشهد حتمي واحد لإنه ليس مجرد أمتدادٍ تلقائيٍ وحتميٍ لمعطيات وأتجاهات الماضي كما تمت رؤيته لفترة طويلة من الزمان، وإنما يتميز بالانفتاح على عدد من المشاهد ,ولاسيما تلك الممكنة، و/أو المحتملة ,و/أو المرغوب فيها.ومن هنا لم يُعد استخدام كلمة المستقبل بصيغة المفرد شائعاً بين جل المستقبليين في الوقت الحاضر، وإنما كلمة المستقبلات بدالة الجمع .ومما ساعد على تحول التفكير في المستقبل من دالة المفرد إلى دالة الجمع تحول أهتمام العلوم الآجتماعية في نهاية العقد السادس الماضي من الآخذ بالنظرية الوضعية ورؤيتها للعلم والعالم وكأنهما الشئ ذاته إلى ما يشار إليه الآن بما بعد الوضعية ,التي تدرك العلم والعالم من منظور تعددي.

إن هذه الرؤية التعددية تنسحب أيضا على موضوعنا، أي منظمة الآمم المتحدة .لذا نرى أن مستقبلات هذه المنظمة الدولية في عام 2030 تتوزع على ثلاثة مشاهد بديلة هي: أما مشهد استبدالها بمنظمة دولية أخرى ,أو أما مشهد إصلاحها، أو أما مشهد أستمرار واقعها الراهن. وسنتناول كل من هذه المشاهد في أدناه ,وبضمنه المشهد الذي نرى أنه سيكون لصيقا بالأمم المتحدة في عام 2030.

1. مشهد أستبدال منظمة الآمم المتحدة بمنظمة دولية أخرى.

يجد هذا المشهد ما يدعمه تاريخياً. فبعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية في عام 1945 تم أستبدال عصبة الآمم بمنظمة الآمم المتحدة ,ومرد ذلك فشل الآولى في الحيلولة دون إندلاع الحرب العالمية الثانية، وهو الآمر الذي افضت إليه مخرجات ثمة مدخلات مهمة متفاعلة: أولها تحول العصبة إلى مجرد عصبة للدول المنتصرة في الحرب العالمية الآولى وثانيها أفتقارها للقوة العسكرية الذاتية ,التي تتيح لها تنفيذ قراراتها ,وثالثها ,مخرجات أزمة الكساد الآقتصادي الذي شمل العالم في وقته ورابعها بروز النظم النازية والفاشية. وخامسا سباق التسلح. ومن هنا كان أستبدال عصبة الآمم بمنظمة أخرى ضروريا من منظور القوى المنتصرة في الحرب العالمية الثانية. ومما سهل ذلك التوافق آنذاك بين هذه القوى على توظيف نتيجة هذه الحرب لصالحها.

ومنذ ولادتها في عام 1945 ومنظمة الآمم المتحدة تعاني من مدخلات فشل عامة نبعت من طبيعة معطيات النظام الدولي ثنائي القطبية ,الذي كان وراء تكوينها أبتداءً، وبضمنه مخرجات الصراع بين قطبيه، وكثافة إستخدامهما لحق النقض (الفيتو) في مجلس الآمن الدولي ضد بعضهما الآخر، وكذلك نبعت هذه المدخلات من طبيعة النظام الدولي أحادي القطب الآمريكي، الذي أفضى إليه إنهيارالاتحاد السوفيتي، وهو النظام، الذي وجد في الآمم المتحدة أداة مهمة مضافة وداعمة لآدوات هيمنة هذا القطب الآحادي، فضلا عن مدخلات فشل خاصة من نوعين :الآول ,له علاقة بكيفية تعامل الدول الآعضاء مع المنظمة الدولية إنطلاقا من مدى الفائدة المترتبة جراء تقديم دعمها لها. أما الثاني فيرتبط بمخرجات الهيمنة الآمريكية على مجلس الآمن. وفي مقالنا للشهر الماضي تم تناول، وبشيء من التفصيل، ثنائية مدخلات هذا الفشل النسبي.

ويتفاعل هذا الفشل مع معطيات وتحديات دولية وإقليمية ومحلية جديدة تنطوي مخرجاتها على دعم الحاجة إلى إيجاد إطارعالمي آخر قادر على التفاعل مع المعطيات والتحديات الجديدة بكفاءة. ويكمن أبرزها وبإختصار في الآتي:

- إتجاه قانون الصعود الى قمة الهرم الدولي والهبوط منه إلى تكرار ذاته تدريجيا بالنسبة للولايات المتحدة الآمريكية. وعلى الرغم من تجربة التاريخ تفيد أن القوى العظمى لا تتخلى عن دورها العالمي بسهولة، بيد أن هذه التجربة تؤكد أيضا أن هذه القوى لا تستطيع الحيلولة دون أفول دورها. ويتفاعل هذا الإتجاه أيضا مع بدء صعود ثمة قوى تسمى بالدول السائرة في طريق النمو او أيضاً بالدول البازغة إلى قمة هذا الهرم، وهو الآمر الذي يرتب تلك المعطيات الدافعة إلى تشكيل نظام دولي متعدد الآقطاب. وتؤكد اراء عديدة أن القرن الراهن سيقترن به على الآرجح. ومثل هذا النظام يحتاج إلى منظمة عالمية تُعبرعن معطياته.
- تطور بنية العلاقات الدولية وعلى نحوٍ يفيد باستمرار تكون منظمات جبهوية وقارية ,اقتصادية وسياسية وغيرها ,التي يمكن أن تكون بديلا لبعض النشاطات الراهنة للآمم المتحدة.
- تقادم بقاء ثمة صراعات إقليمية دونما حل متفاعلا مع بروز ظاهرة الصراعات الداخلية بين الآثنيات العرقية والقومية والدينية وسواها. وبينما فشلت الامم المتحدة في أيجاد حلول دائمية للآولى لم تستطع الحد من الثانية في الآقل بل فشلت في منع الإبادة الجماعية التي صاحبت العديد من الصراعات الداخلية كما حصل مثلا في رواندا عام 1994.
- بداية بروز معيارجديد للتميز بين الدول يتأسس على مدى قدرة الدولة على التاثير في محيطها الآقليمي في الآقل أعتمادا على قوتها الناعمة أساساً ,وليس على المقومات الصلبة التقليدية للفعل الدولي المؤثر ,كالدول الآسكندنافية، وسويسرا، ودولة الآمارات العربية المتحدة.
- بروز تحديات خطيرة كالإرهاب الدولي، والفقر، وعدم الآستقرار، والتغيرات المناخية، والآوبئة الفتاكة... الخ. وهي التحديات ,التي لم تستطع وكالات الآمم المتحدة احتواء مخرجاتها بكفاءة عالية. ولنتذكرمثلا كيف تعاملت منظمة الصحة العالمية وهي إحدى هذه الوكالات مع وباء كوفيد ـ 19 إذ لم يلاحظ المرء تبنيها لإستراتيجية فاعلة لتنظيم وإدارة التعاون الدولي لمواجهة هذا الوباء العالمي. ولعل وباء كورونا قد كشف بشكل اكثر وضوحا عن أخفاق الآمم المتحدة وتقاعسها المتكررعلى هذا الصعيد وسواه.
- إتجاه التعاون بين الدول لمواجهة التحديات المشتركة إلى التآكل لصالح الآعتماد على الذات وقد أكد وباء كوفيد ـ 19 هذا الآتجاه.

وفي ضوء عموم الآداء الضعيف للآمم المتحدة خلال 75عاماً من تأسيسها ,ذهبت آراء إلى القول أن هذه المنظمة الدولية قد استنفذت وسائلها وأسباب وجودها. كما أن ارآء أخرى طرحت السؤال الآتي: إلى أي مدى يحتاج العالم بعد 75 عاماً من تأسيسها؟ وأيضاً السؤال: هل منظمة مثل الآمم المتحدة ما يزال لها مكان في عالم اليوم؟. وبدورنا , نتساءل: هل لازال قول داغ همرشولد الآمين العام الآسبق للآمم المتحدة للفترة 1946-1952 نافذاً ومعبراً عن واقعها؟ والذي آكد فيه: «لم يتم إنشاء الآمم المتحدة لإدخالنا إلى الجنة بل لإنقاذنا من الجحيم».

وعلى الرغم من أن مشهد أستبدال منظمة الآمم المتحدة بمنظمة عالمية أخرى هو أحد المشاهد البديلة الممكنة، بيد ان هذا المشهد يجد من يرفضه ولعدة أسباب سنتناولها عند الحديث عن المشهد الثالث لمستقبلات الآمم المتحدة في أدناه.

2. مشهد إصلاح منظمة الآمم المتحدة

تتقابل الدعوة إلى الإستغناء عن منظمة الآمم المتحدة جراء إخفاقاتها في العموم مع دعوة أخرى مختلفة لم تنقطع منذ نهاية الحرب الباردة ,هي الدعوة لإصلاحها .ومما ساعد على ذلك أدراك شبه عالمي مفاده أن تحديات عالم اليوم لا يمكن الإرتقاء إلى مستواها أعتماداً على جهد منظمة دولية تعاني من أخفاقات ,ومن ثم أضحت بعيدة عن معطيات عالم يتغيرعلى نحوٍ غير مسبوق . لذا قد تم تشبيه مسار الآمم المتحدة «بمسار طائرة استمرت جاثمة على المدرج دون أن تكون قادرة على الإقلاع وتحتاج الطائرة أولاً إلى إصلاح حتى تقلع».

وإستجابة لمطالب الإصلاح ,عمد الآمين العام الآسبق ,كوفي عنان ,في وقته إلى تشكيل لجنة مؤلفة من (16) شخصاً لإقتراح الإصلاحات المطلوبة. وقد أنتهت هذه اللجنة إلى تقديم (161) مقترحاً من بينها توسيع مجلس الآمن بحيث يضم (24) دولة بدلاً من الدول الخمس عشرة ,التي يضمها حالياً. بيد أن هذه المقترحات لم يصر إلى ترجمتها إلى واقع ملموس جراء مناهضتها من قبل ثمة قوى دولية مؤثرة لإنها لم تؤمن تمتعها بحق النقض. مع ذلك تتعدد الصعد التي ينبغي إصلاحها أولا حتى تتمكن الآمم المتحدة من أنجاز وظائفها بكفاءة عالية. ولعل أهم هذه الصعد يكمن في إصلاح مجلس الآمن الدولي ,بإعتباره الهيكل الآهم ,سبيلا لجعله أداة أكثر فاعلية لحل الصراعات الدولية، وكذلك أكثر تمثيلا للدول الآعضاء في الجمعية العامة للآمم المتحدة. هذا فضلا عن الآرتقاء بصلاحيات الجمعية العامة إلى المستوى ,الذي يجعلها أكثر فاعلية.

فأما عن إصلاح مجلس الآمن، فهو يتطلب أولاً معالجة إشكاليتين متداخلتين إستمرتا ومنذ فترة طويلة من الزمان ,بمثابة العائق الآساس أمام أي إصلاح جدي له هما: حق النقض (الفيتو) وتوسيع نطاق عدد الدول الآعضاء في المجلس، سواء دائمة أوغير دائمة ,العضوية، فضلا عن إصلاح نظام العضوية فيه وجعلها على أساس التمثيل الإقليمي ,وكذلك تعديل نظام التصويت بداخله بحيث يصبح لكل دولة صوت واحد

وتتبع المطالبة بالغاء حق النقض من كثافة استخدامه وخصوصاً خلال الحرب الباردة ودوره في تعطيل إنجاز الآمم المتحدة لبعض وظائفها في الآقل. فمنذ عام 1946 وحتى عام 1991 فقد تم توظيفه (276) مرة. أما بعد عام 1991 فقد تراجع العدد إلى (35) مرة (14): للولايات المتحدة و (13) لروسيا الاتحادية (8) للصين.

وأماعن الجمعية العامة للآمم المتحدة فهي الآخرى بحاجة إلى الإصلاح وعلى النحوالذي يدعم فاعليتها حيال مجلس الآمن ,ولاسيما جعل قراراتها تتسم بخاصية الإلزامية وليس الإستشارية كما هو الحال الآن. وهذا الآمرهو الذي تطالب به دول عالم الجنوب ,والذي لا تحبذه الدول دائمة العضوية في مجلس الآمن مثلا، وبهذ الصدد يقول دبلوماسي أمريكي: «إن الجمعية العامة هي كيان خاص بالدول الصغيرة .ونحن لسنا صغاراً».

3. مشهد استمرارية الواقع الراهن لمنظمة الآمم المتحدة

يُعد هذا المشهد حصيلة لرأي يدافع عن الواقع الراهن للآمم المتحدة ويقول بأهميتها، ورأي آخر يؤكد صعوبة تحقيق الإصلاح المنشود لهيكلية هذه المنظمة الدولية ,ولاسيما لمجلس الآمن بإعتباره هيكلها الآساس.

فأما عن الرأي الآول فهوقديم وممتد عبر الزمان. إذ يعود إلى تريغلي لي: الآمين العام الآسبق للآمم المتحد للفترة 1946-1952 إذ قال: «هناك أهمية بطبيعة الحال للآمم المتحدة ذلك لآن مسألة مستقبل الآمم المتحدة لها علاقة مباشرة بمستقبل النظام الدولي فهي حجرالآساس في هذا النظام وبالتالي فإن تلاشي النظام متعدد الآطراف الذي تعبر عنه الآمم المتحدة سيفضي إلى أن تكون هناك عواقب عديدة وغير متوقعة». وتماهياً مع هذه الرؤية لا يجد مشهد إستبدال الآمم المتحدة بمنظمة أخرى قبولا واسعاً وكثيرة هي المسببات ومنها الآتي على سبيل المثال:

- أولا: في ضوء معطيات الواقع الدولي الراهن سيكون من الصعب إعادة التفاوض على ميثاق الآمم المتحدة ,فضلا عن صعوبة التوصل إلى أتفاق جديد حول مقر المنظمة الجديدة متفاعلاً مع أنتفاء ارجحية مساهمة الدول الآعضاء بالموارد اللازمة لبناء هذه المنظمة .
- ثانيا: سيكون لتفكك الآمم المتحدة تاثير فوضوي على عمل مجمل هياكلها الداخلية , الثلاثة والثلاثين.
- أيضاً سيكون من الصعب الحفاظ على المعاهدات الدولية النافذة ,فضلا عن إستحالة تحقيق التوافق الدولي على الآتفاقيات الثلاثة الرئيسية في مجال حقوق الآنسان وخاصة الاعلان العالمي لحقوق الآنسان لعام 1948.

وإضافة إلى أعلاه يؤكد رأي أخر أن الآمم المتحدة ليست في ورطة ,ردا على ثمة رأي قال بذلك. ويستشهد الرأي الآول على ذلك بإنجازاتها المتعددة خلال الزمان الممتد من تاريخ تأسيسها إلى الوقت الراهن .بيد أن هذا الرأي وأن يعترف بإخفاقاتها الإ أنه يؤكد أن هذه الإخفاقات لا تشكل تهديدا لها الإعندما يصل عدد متزايد منها إلى أوضاع حرجة تؤدي إلى وضع مصداقية الآمم المتحدة موضع التساؤل. ولآن هذا المشهد لايجد أستجابة ,ذهب رأي قائلاً «إن الآمم المتحدة مدعوة إلى إعادة إبتكارنفسها...وإعادة النظر في وظائفها وهيكلها وتوزيعها للموارد بأساليب جديدة لجعلها أكثر قدرة على مواجهة تحديات المستقبل والتحرر من الهيمنة».

وأما عن الرأي الثاني ,الذي قال بصعوبة إصلاح الآمم المتحدة فهو يؤكد أن هذه الصعوبة مردها تاثير إشكاليتين:

فأما عن الإشكالية الآولى :حق النقض ,فهي تكمن في أن أي محاولة لنزع حق النقض من الدول دائمة العضوية ستدفع بها إلى إستخدامها له ضد محاولة نزعه منها .ومما يساعد على ذلك أن ميثاق الآمم المتحدة يخلو من مادة تسمح بنزع هذا الحق دون الموافقة الجماعية للدول الخمس دائمة العضوية، إضافة إلى ذلك من غير المحتمل حصول موافقة هذه الدول على التخلي عن هذا الامتياز المهم ,سيما وأنه يعد بمثابة الآداة التي تتيح لها حجب أي قرار لا يتماهى مع مصالحها . ولإنه يؤدي هذه الوظيفة كان بمثابة الثمن الذي توجب دفعه للقوى الدولية الكبرى أنذاك لتأمين مشاركتها في تأسيس الآمم المتحدة.

وأما عن الإشكالية الثانية: توسيع نطاق الدول الآعضاء في مجلس الآمن بنوعيها: الدائمة وغير الدائمة ,فإنها نجمت عن معارضة ثمة دول يشوب علاقتها مع دول مرشحة لعضوية مجلس الآمن الدولي التوتر .فمثلا ,ذهب عدد من الدول الآوربية إلى معارضة عضوية المانيا ,والشيء ذاته بالنسبة للارجنتين حيال البرازيل وباكستان بالنسبة للهند. وبغض النظر عن هاتين الإشكاليتين، تعد إجراءات تعديل ميثاق الآمم المتحدة بحد ذاتها مسألة تتسم بصعوبتها .فوفق المادة 108 من هذا الميثاق يتطلب التعديل موافقة ثلثي اعضاء الجمعية العامة وتصديق جميع الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الآمن والتي قال أحد الآراء عنها...«أنها تختلف ولكنها تتفق في إستخدام حق النقض ضد أي إصلاح للميثاق».

وفضلا عن هذا الشرط القانوني ,كان لتشكيلة مجلس الآمن علاقة وثيقة بتوزيع القوة على الصعيد الدولي أنذاك. فكما أن الدول ذات العضوية الدائمة حاليا في هذا المجلس: الولايات المتحدة والصين الشعبية (البديل للصين الوطنية أو فرموزا) وروسيا الآتحادية (وريثة الآتحاد السوفيتي) وفرنسا والمملكة المتحدة ,كانت بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية، وما بعدها هي الدول النووية الوحيدة ومن ثم الآقوى دوليا أنذاك، قد لايمكن إعادة تشكيل مجلس الآمن بمعزل عن القوى الكبرى البازغة حالياً وبعضها يطالب بالعضوية الدائمة وهي المانيا ,اليابان ,الهند ,والبرازيل. وهذا إن حصل ,فإنه قد يكون على حساب بعض الدول دائمة العضوية إلتي جراء ذلك من المرجح أن تذهب إلى أستخدام حق النقض لصالح إستمرار عضويتها الدائمة في مجلس الآمن.

وفي ضوء ما تقدم نرى أن هذا المشهد الثالث هو أكثر ترجيحا للإستمرار من سواه. ومما يساعد على ذلك أن النظام الدولي متعدد الآقطاب، الذي يتطلب وجود منظمة دولية تتماهى مع معطياته ,يحتاج إلى زمان قد يمتد إلى منتصف القرن الحالي حتى يتبلور ويتشكل.■

---

* استاذ العلوم السياسية ودراسات المستقبلات

الشاعر اليمني صدام الزيدي لـ«الحصاد»:

القصيدة التي تتغلّب على الحرب

بيروت: ليندا نصار

كيف يمكن للشاعر أن يكتب قصيدة يتخطى بها مشاهد الحرب والدماء وهو في وسط ميدانها؟ وهل يمكن أن تحافظ القصيدة على نوافذ الأمل بالرغم من كل هذا السواد، فتنشرها للعالم؟

سنوات مرّت على اليمن لم تشبع فيها الحرب من مشاهد الجثث ولم ترتوِ من دماء الشهداء، هذه الحرب التي باتت تشكّل عبئًا على أقلام الشعراء صارت شكلًا من أشكال الدمار الجسدي والروحي الذي يحصي ضحاياه، بلا ندم، كلّما عاد بذاكرته إلى الوراء.

وسط كلّ هذا الركام، كان لا بدّ من لحظة يعيشها الشاعر خارج الزمن ليتنفس ويناقش ويحاور ويكتب.

ضيفنا في هذا العدد من مجلة «الحصاد» هو الشاعر والصحافي اليمني صدام الزيدي إنه المستشار الإعلامي لمحافظة المحويت وهو عضو نقابة الصحافيين اليمنيين وعضو اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين.

«الحصاد» التقت الشاعر والصحافي صدام الزيدي وكان لها معه الحوار التالي:

● «الحصاد»: هل تستطيع الحرب أن تخنق الشعر؟ وكيف تتنفّس القصيدة في ظلّ ظروف الحرب؟

○ صدام الزيدي: لا يمكن لشيء في هذا العالم أن يخنق الشعر؛ الإكسير الفعلي لكل الأدخنة والنيران التي تعج بها الحياة .حتى الحرب ليس بوسعها أن تخنق الشعر، في تقديري، لأنها لو كانت قادرة على النيل منه، لكانت آخر قصيدة كُتبت عشية ارتكاب أحد ابني آدم جريمة قتل مُلطِّخًا سفْر الحياة بدم القبح والانفعال المحمول على بذرة حرب خفية في أقاصي رغبة الشيطان.

قد تتمكن الحرب من قصف الشعر إما بصاروخ أو قذيفة أو رصاصة مباشرة من على بُعد أمتار، أو لنقل :من على بُعد أكوان مشتبكةً مع الحكمة والنزاهة، غير أن المكان يتبعثر والأصبوحات تنقرض والأضواء تفقد جهوزيتها. وفي المقابل، ينبت الشعر من بين أنياب الفاجعة .هذه هي وظيفته حينما تفقد الدروب حِكمتها تحت تأثير الانجراف مع القبح والوضاعة وانكماش نافذة الأفق الانسانيّ ...الشعر في أعمق انفعالاته، يتخذ من نار الحرب ميدانًا لكتابة النور، فهو وحده من يلوِّن عتمة ليلنا، ووحده من يحرس جماجمنا من أدخنة الجنون والاحتراب .بعبارة ناجزة :لا الحرب ولا الجوع ولا المرض ولا شيء بوسعه أن يخنق الشعر، لأن الشعر نافذة مفتوحة- في سماء مجهولة _ على النسيان، ولأن ست سنوات من الحرب في اليمن، جاءت لتحفر عميقًا في مدونة الكتابة الشعرية المندلعة على رصيف الحلم /الوجع الكبير.

القصيدة تتنفّس في كل الطقوس والظروف والفضاءات والزنازين والميادين والجماجم. قد ينكسر الشعر (الشاعر) تحت وطأة حرب هنا أو هناك، ولربما يغيب برهةً أو يوغل في التلاشي ساعةً من ظهيرة محتربة، غير أن الحرب ـ كما رأيناها وشهدنا نزالات مجنزراتها وتجاعيد أهوالها -خنقت كل شيء في البلاد، ونكلت بكل شيء في البراري، وأصابت الجميع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .اختنقت الأرض بجبالها وبحارها وصحرائها، وبينما الجميع في حالة من التبلد والتمزق؛ من بين هذه الكومة من الانسحاق؛ شهقت قصيدة وأفاضت حمى نص جديد أراد إلا البقاء على حافة التحدي.

قد تكون الحرب بداية غير متوقعة لشعرٍ جديد لم يكن ليكتب على نحو مغاير ومجروح لولاها وليس ثمة حزن يتدفق على امتداد الجغرافيا في أقاصي الانسان.

● «الحصاد»: لماذا يكتب صدام الزيدي وكيف يعيش راهن الشعر اليوم؟

○ أكتب لأنني أكره الحرب .أكتب لأن فصيلة دمي كالتالي :كتابة أمل ضد الفوبيا .أكتب كي أفتح جرحًا جديدًا في صدر الأيام منتعلًا بقايا حطام سفينة مفقودة في أسفل محيط متجمد .أكتب لأن نوتة زرقاء في موبايلي تمنحني شرفةً واسعةً للاختباء من نار الضغينة .ولأن ابنتي الصغيرة ضحكت البارحة وهي نائمة .ولأن الشمس لم تطلع بعد من تنزانيا. ولأن الثلج يغازلني من آخر العالم بينما أتعلق بنجمة يمانية متوعدًا المنفى بحزمة قصائد ما زالت في الغيب. أكتب لأن ستة عشر صاروخًا مزلزلا نزل بجبروته على معكسر للأمن المركزي في مدينة كنت أقيم فيها، ولم يكن يفصل بين بيتنا ودائرة القصف سوى مئتين وسبعين مترًا: حينها اشتعلت مدائن الشعر واستيقظ قلمي في طريقه إلى البياض المرعب والأسطوريّ .أكتب لأن أغنيةً واحدةً للسيدة فيروز بمقدورها أن تطير بي مباشرةً إلى المستقبل ولأن لا شيء آخر يمكنني ممارسته عندما تنام المدينة وتصمت كلابها ودراجاتها النارية قبل الثالثة فجرًا وبعد العاشرة والتسعين نصًا وتدوينةً...

ينبغي عليّ أن أضاعف من عزلتي وقراءاتي وكفاحي، وأن أنظر إلى العالم من نافذة /بأجنحة ملاك تائه وحزين، فيما أذهب وحيدًا إلى الغابات.

● «الحصاد»: كيف يمكن للشعر أن يستفيد من الهزائم العاطفية والاجتماعية وتحويلها إلى قوة حياة لبناء الممكن والاستجابة لشروط اللحظة التاريخية؟

○ صدام الزيدي: تجربتي الشعرية ما زالت في بواكيرها .لا هزائم طالتني .أمارس طقوس متشرد وحيد بأعالي جبال الهملايا. أهرب مني في الصباح وحين أعثر عليّ قبل الثانية عشرة ليلًا أهرب مني ثانيةً إلى الكيمياء أو الفيزياء أو أنظمّ خلسةً إلى قافلة رُعاة رُحّل في منغوليا البعيدة.

الشعر لا يمكنه فعل شيء لو أنه نبت في أرض قاحلة، ولو أن صاحبه أصيب برهاب المرتفعات والمنخفضات. الشاعر المخلص في معركته مع ذاته ومع العالم يمكنه أن ينتصر على الهزيمة، ولا إمكانية لأن ينكسر عند أول منعطف للغيوم. المساحة التي تخلقها في أغوار جمجمتك السحيقة هي استجابة بطريقة ما لورطة حياة أو لجدلية منطق أو لعبوس أرصفة.

اللحظة التاريخية بالنسبة إليّ هي ما أكتبه بوعي أو بغيبوبة تامة ولاوعي. أعيش بداية الخلق ونهايات التكوير. الشعر لا يستجيب للتاريخ؛ يستجيب لصوت أعماقه ولا تقيده شروط هزيمة أو نشوة نصر. الشاعر يذهب إلى الأمام ولا يلتفت. أكبر هزيمة عاطفية وتاريخية (وانسانية) في رأيي، أن يهبط وحي الشعر إلى رأسك فيما أنت مشغول بغرائزك وحروبك وبالرفاهية المطلقة زاهدًا عن التحديق في غابات الفضاء التي لمعت في رأسك توًا.

● «الحصاد»: ما هو دور التخييل في تعبير الشاعر عن مساحاته الداخلية وهل سبق أن عشت صراعاً مع اللغة في قول ذاتك؟

○ صدام الزيدي: يمكنني هنا الحديث مجازًا ـ ومجازفةً ـ عن «جموح أحصنة بيضاء» تجوب أرض قريحتي اللانهائية. لا مساحات داخلية تكتبني أو أكتبها؛ مساحاتي الكبرى تبدأ من رؤوس أناملي وتمضي مسرعةً إلى ما بعد الحافة الكونية التي ينبغي لمجنون بجناحين إلكترونيين أن يبتكرها.

لربما عشت صراعًا مع اللغة، عندما أنهمك في كتابة مواضيع صحفية وهي ضرورة أنا من يصنعها ثم أخوض حروبها المريرة معي، لأن كاتبًا في داخلي يسحبني إلى حلبة مصارعة (ترفيهية وعنيدة في آن) مع اللغة؛ يقول لي: لا تقلّد غيرك ولا تكن نمطيًا فتصبح منسيًا. ويضيف :كن جديدًا أو أبعد قليلًا عمّا تكون.

أما حين أكتب نصوصي (الشعرية) فالحال أنني خارج سيطرتي تمامًا :لا أصارع اللغة كما أفعل في أثناء الاشتغال على كتابات ومواضيع صحفية. في حالة الشعر، ما أنا إلا وسيط بيني وبين «رسولة إلهام» تعانقني فجأةً متحدةً مع أنفاسي، تأتي من جبل مهجور أو من بحر قزوين أو من «خليج ملقة» أو من بحر الصين، أو من كوستاريكا أو من أدغال جزيرة في الفيليبين، أو من غابات أستراليا أو من براري أفريقيا أو من أرض في السماء أو من صهيل جياد نافرة هجرت العشب على ربوة خضراء وسط أرض متعرجة في المملكة المتحدة، أو من طقس خرافيّ لا أرض تتصل بها جذوره ولا سماء تبعثه أو نتوء أحجيات ... هكذا بغتةً يصعد من زاوية مهملة في «لا مكان» و«لا زمان».

في حالة الشعر، مساحاتي كونيّة مترامية وما بعد مجرّات. أترك لإصبع إبهام يدي اليمني كامل حريته وبيدي اليسرى أرتب انهيارات تتلاحق على صدر نوتة الموبايل: ثمة التحام باللغة واتحاد بها، لا صراع ولا نزاع ولا مندوبين من «الأمم المتحدة».

● «الحصاد»: نلت عدة جوائز من بينها جائزة رئيس الجمهورية، وسبق أن كرّمت من قبل عدّة جهات .ما هي أهميّة هذه الجوائز والتكريمات بالنسبة إليك؟ وما هو تأثيرها في القصيدة؟

○ صدام الزيدي: الحق أنني فزت بجائزة رئيس الجمهورية للشباب في سنة مضت لم أعد أتذكّر الآن متى وفي أي عام؟ كان الفوز في إحدى دورات الجائزة على مستوى محافظتي «المحويت» (شمال غرب صنعاء). فزت أيضا بجوائز شعرية وإبداعية متفرقة كانت أدنى قليلًا من جائزة تحمل اسم رئيس جمهورية لم أكن لأصطفّ في ميادينه عندما اندلعت ثورة 11 فبراير / شباط 2011 ، التي تكالبت عليها قوى الظلام فألجمت صوتها ونكّلت بأغنيتها (وما زالت تجتزّها لولا المخبوء من جذوة لا تمّحى ومن شعلة لا تنطفئ هكذا بضربة رصاصة عمياء).!

لست ممن يفكرون في الجوائز أو يسعون إليها. أفكر بشغف كيف سأنجز فعلًا مضيئًا يطلع من بين ركام هذه الحرب التي طالت فأنهكت فينا جبالًا وأوديةً إلى درجة الاستسلام للنزوح مكانًا وروحًا لولا فسحة غريبة وعنيدة من الأمل والمكابدة والسهر والأغنيات والقراءة والكتابة والارتطام بنيزك يشرق يتيمًا من آخر غيمة ضوء في المستقبل.

حتى لو مُنحتُ جائزةً هبطت فجأةً فأشعلت في طقوسي اليومية نزوة جنون مضاعفة، فلا أظن أن شيئًا من جودة وأفضلية سينعكس على نصوصي؛ نصوصي التي كتبتها قبل مجيئي إلى الحياة بملايين السنين.

● «الحصاد»: ماذا عن التجارب اليمنيّة الشبابيّة اليوم؟ في رأيك من أكثر من يلتفت إليها؟

○ صدام الزيدي: إنها الرابعة وثمان، فجرًا، الآن. كنت قد قررت أن أختصر إجابة سؤالك الأخير في سطرين من دون أن أقرأه ثانيةً، في سياق أمسية جميلة وعظيمة أثثتها بدمي أو إنها أثثتني بفضاء دهشتها بعد أن كنت على وشك التراجع، وصوت مأهول بانكسارات اليمن كلها، كان يهمس لي: أنت تحاور الناس وتكتب عنهم، ها أنت عاجز عن إفادة ضمن حوار لطالما ترددت في الالتزام به :ليل صنعاء مسقوف بأنين مقبرة، الدروب هنا مشيدة بالفاقة والخذلان، لا بصيص ضوء أو رصيف موسيقى .لا نجمةً تهتدي بها كلما أظلم الليل، ولا ضحكةً مكتملة مئة في المئة استطعت أن تبعثها على شفاه ابنتك الصغيرة التي حملت إليك عصر أمس قصاصة من كتابة نثرية جميلة أنجزتها مخيلتها البريئة فأعادتك إلى الأمل والابتسام ـ والتحدي ـ مجددًا.

لنعد إلى سؤالك الختامي: أعتقد أننا في اليمن نشهد منذ عام 2000 فصاعدًا، ومنذ 2011 فما بعد، على نحو خاص، كتابة شعرية استطاعت أن تقف بعناد جميل في وجه الانتكاسة والصراع والمجاعات والمتاهات. كتابة تتمرد، تحفر في الصخر، تؤنسن حربًا فادحةً قبالة ضلال ساسة حمقى ونزيف دم بريء لا صوت كونيّ ينحاز له جادًا، «ولا أرض تقيه ولا سماء».

أكثر من يلتفت إلى هذا الجيل المحاصر بالطوابير والمتشرد بلا نهاية، الربوات العليا لجمال النص المحتشد، فلا أحد، عدا الشعراء أنفسهم يوغلون في تدمير يباس شبكة الانترنت كي يشرقوا مع آخر نجمة في فجر وسائط الاتصال الممدودة أليافها حتى آخر عظمة في قبر جنكيزخان المفقود، يبحثون عن عشبة (سبئية، مفقودة) معلقة في أذن ديناصور منقرض.!

الشبيبة اليمنيون ممن لاذوا بالشعر وطنًا ونافذةً، ينجزون اليوم كتابة (نص جديد) مقروءة ومقبولة في سياق المشهد العربي العام، خذي مثلاً: قيس عبد المغني؛ جلال الأحمدي؛ أحمد العرامي؛ أحمد النجار؛ ضياف البرّاق؛ مها عبد الرحيم؛ ميسون الإرياني؛ وثمة أصوات كثيرة، تنجز مدونةً قاحلةً في طلوعها.

ناجزةً في اجتراحها الفضاء الخاص والأجدّ. ثمة بواكير تكفي لأن نتحدث عن «قصيدة حرب» في اليمن، لولا أن الرأي النقدي ـ وهو غائب بالمناسبة إلا من تلويحات لا يمكننا اعتبارها فعلًا نقديًا مُواكبًا ـ قد يقول إنه من المبكر الحديث عن هذه القصيدة /النار الطالعة من قرائح الشعراء ما بعد عام 2000، تحت سماء من صواريخ، وفي درب الكلاشينكوف.

نراهن على التجديد والمغايرة: قصيدة تكبر فوق جراحات زمانها، لا تزيدها طقوس تعبئة الكراهية والعنصرية ونشرات الدم المتلفزة إلا «عُتُوًا ونفورا». ■

الشاعر صدام الزيدي في سطور

● ينتمي إلى هيئة تحرير مجلة نصوص من خارج اللغة الصادرة عن شبكة أطياف الثقافية في المملكة المغربية. كما أنه مشرف على موقع «فضاءات الدهشة» الأدبي التابع لمجلة نصوص من خارج اللغة.

● يكتب الشاعر قصيدة النثر وقد عرف باهتمامه بمشهدية كتابة قصيدة النثر يمنيًا وعربيًا أيضًا.

● شارك كإعلامي وشاعر في ملتقى الرباط بغداد الذي نظمته الجامعة المغربية للشعر من 28 نوفمبر إلى 2 ديسمبر 2014 في مدينة الرباط المغربية.

● فاز الزيدي بجائزة رئيس الجمهورية في الشعر بمحافظة المحويت، اليمن 2010.

● صدرت له باكورة شعرية بعنوان صوب نخّالة المطر ضمن سلسلة ابداعات يمانية عبادي للنشر، صنعاء.

● يكتب حاليًا في الصحافة الثقافية اليمنية والعربية.. ضفة ثالثة / الجزيرة نت / نصوص من خارج اللغة / نزوى/ بين نهرين/ مواقع ومجلات يمنية وعربية أخرى.

أدب الشتات بين الاستقطاب والهوية والجرأة من منظور الباحثة الصينية «ليو نا»

بيروت: رنا خير الدين

ذروة الإبداع والتجدد في التعبير والأدب تتفاعل مع خصال التقدم والتطور في سبيل إحياء الذات ومدركاتها في عالم التواصل والاتصال، الشعر والنقد، الترجمة والتعريب، الرسم والنحت وكل ما يترافق مع ذلك من فنون، حضارات وثقافات مختلفة.

شعراء وأدباء المهجر أو الشتات حقّقوا ويحققون إنجازات أدبية تضاف إلى تاريخ الأدب العربي في المهجر، ويتميز هؤلاء بأنهم مرّوا بتجارب أدبية ضمن نطاق بيئات غربية متباينة الوجوه في العناصر والأدوات، وأنماط التفكير والتحليل، بداية من الرؤية الفنية لجوهر العمل الفني، تضم خلفياتهم العربية وأصولهم الايديولوجية، التي قد تقع في فخّ الاندثار ما لم يحافظوا على جوهرها الأساسي.

من هؤلاء:

«أمين الريحاني»، «نعمة الله الحاج»، «عدنان كمال رضوان»، «جبران خليل جبران»، «ميخائيل نعيمة»، «ايليا أبو ماضي» وغيرهم...

نتيجةً لهجرة هؤلاء الأدباء إلى البلاد الأجنبية نشأت مدرسة تسمّى بمدرسة «شعراء المهجر»، والتي دعت في بداية الأمر إلى الثورة على مختلف أوضاع الوطن، وتحرّي الحقّ، والصدق، والخير، والجمال، والحريّة والإنصاف في الغربة؛ إلّا أنّهم عجزوا عن تحقيق هذه المفاهيم واقعياً ذلك بسبب صعوبة نمط التغيير وبطء تحقيقه.

الباحثة الصينية «ليو نا»

الباحثة والمترجمة الصينية «ليو نا» (Lyu Na) وهي أستاذة اللغة العربية في كلية اللغات الأجنبية في جامعة صان يات سان (Yat-sen University Sun) الصينية أعدت أطروحة بعنوان «دراسة في أدب المهجر المعاصر في الشتات».. الشعراء العرب المهاجرون في أوروبا وأعمالهم الشعرية أنموذجا، حيث قامت بدراسة بعض النماذج عن الشعراء العرب المهاجرين في أوروبا من خلال تحليل المواضيع وأساليبهم الإبداعية في قصائدهم .

«الحصاد» كان لها حديث مع الباحثة الصينية «ليو نا» حول طرحها موضوع «الغربة والهوية الثقافية»؛ أي الموضوعين الأكثر شيوعاً في أدب الشتات، بالإضافة إلى أساليبهم الإبداعية التي تشمل النزعة الصوفية والنظرة الشعرية التي تشكّلت نتيجة تأثير الأفكار الأدبية والفنية الغربية وغير ذلك من العوامل والعناصر وهدفها من ذلك.

● «الحصاد»: بدايةً، كيف اتجهت نحو التخصص في اللغة العربية؟

○ ليو نا: لم أتوقّع يوماً أن حياتي سترتبط باللغّة العربية .عندما كنت أدرس في جامعة صان يات سان (Sun Yat-sen University) لنيل شهادة بكالوريوس اخترتُ اللغة العربية لأنها بالنسبة لي بمثابة لغز جميل. وبعد تخرّجي من الجامعة سافرتُ إلى دمشق، وهناك تعرّفت إلى الأستاذ أحمد محمد محمد، الخبير في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في جامعة دمشق، والذي بدوره عرّفني إلى حافظ إبراهيم، سعد الله ونوس، حيدر حيدر، نزار قباني، حنا مينا وغيرهم من الأدباء العرب. ما زلتُ أتذكّر ذلك اليوم عندما قرأتُ بيت حافظ ابراهيم الشعري «أنا البحر في أحشائه الدر كامن، فهل سألوا الغواص عن صدفاتي»، كنتُ مأخوذة للغاية وأدركت وقتذاك أنني سأقضي عمري كلّه أبحث عن الدر الكامن في بحر اللغة العربية بلا كلل وملل.

● «الحصاد»: التوسع في دهاليز الأدب العربي يعدّ من أصعب المهمات نظراً لكثرة الفتوحات والتغيرات البنيوية لهذا المجتمع .كيف اجتزت هذه المطبّات؟

○ ليو نا: أنا شخصيًا لا أرى أنّ كثرة الفتوحات والتغيرات البنيوية للمجتمع العربي قد شكّلت المطبّات للتوسّع في دهاليز الأدب العربي. ولتوضيح رأيي هنا أودّ اقتباس بيت مشهور من قصيدة الشاعر الصيني تشاو يي (Zhao Yi) الذي كان يعيش في عهد أسرة تشينغ، أي آخر أسرة في تاريخ الإمبراطوريّة الصينيّة .يقول الشاعر إنّ محنة الوطن حظّ الشعراء .كيف نفهم هذا؟ لقد شهدت الأمّة الصينيّة في تاريخها الطويل الكثير من الحروب والاضطرابات الاجتماعيّة، وكانت محنة الأمّة دائمًا تدفع الشعراء إلى التأمّل في قيم الوجود وأسئلة الإنسانية .كانت قصائدهم مشحونة بمشاعر نبيلة مثل الشعور بالتعاطف مع الفقراء الذين عانوا جرّاء نيران الحروب، والتوق إلى بناء وطن يسود فيه السلام والحبّ والعدالة .ويعدّ الشاعر الصيني تو فو (Du Fu) نبيّ الشعراء لأنّه كرّس حياته لكتابة قصائد من أجل البؤساء في الطبقات الدنيا خلال عصره المضطرب. إضافة إلى ذلك فإنّ الفكر العميق ينبت دائمًا في رحم النزاعات والاضطرابات. وقوله «محنة الوطن حظّ الشعراء» ينطبق على الأدب العربيّ أيضا .والدليل على ذلك محمود درويش الشاعر العظيم الذي خلّده اسمه تاريخ الأدب العربي، ولماذا قصيدة «الجسر» لخليل حاوي ما زالت نابضة بالحياة، مع أنّ هذين الشاعرين كلاهما كانا يعيشان في عصر الاضطراب؟

أدباء الشتات.. من منظور تعبيري

● «الحصاد»: في نظرتك، كونك باحثة صينية، ما أهميّة دراسة الشعراء العرب المهاجرين في أوروبا؟ لماذا اخترت هذا الموضوع لأطروحتك؟

○ ليو نا: الشعر ديوان العرب. والأمّة العربية، على حدّ قول نزار قباني، أمّة تتنفس الشعر، وتتمشّط به، وترتديه. ولكن في يومنا هذا، مع الأسف الشديد، لاحظتُ أنّ الشعر العربيّ، لاسيما الشعر العربي المعاصر، يلاقي في الصين إهمالا لا يستحقّه مقارنةً بالرواية العربيّة. حتى اليوم لم نصنع اسمًا في اللغة الصينيّة للشعراء العرب الذين يجدر بنا أن نسلّط الضوء عليهم أمثال أنسي الحاج، خليل حاوي، فؤاد رفقة، سركون بولص، أمجد ناصر، فاضل العزاوي واللائحة تطول.

وعندما سجّلتُ لدراسة دكتوراه في جامعة شنغهاي للدراسات الدولية، كان مشرفي هو البروفيسور تساى ويليانغ (Cai Weiliang) ، الرئيس السابق لجمعيّة دراسة الأدب العربيّ في الصين .وكان على يقين أنّ الأدب العربي في الشتات (أي الإبداع الأدبيّ العربيّ في أوروبا وأميركا) في يومنا هذا مهمّ جدًا ويستحقّ أن نوليه الاهتمام لأنّ أعداد العرب الذين هاجروا إلى أوروبا بسبب الأوضاع السياسيّة أو الاجتماعيّة أو الاقتصاديّة السيّئة في العالم العربي هائل وغير مسبوق. وبالطبع بين هؤلاء المهاجرين الكثير من الأدباء .بالإضافة إلى ذلك يمكن من خلال دراسة الشعراء العرب المهاجرين في أوروبا نستطيع أن نفهم ماذا حصل في العالم العربي بشكل أفضل، لأنّهم أكثر شجاعةً في التعبير والإبداع الأدبيّ .

● «الحصاد» ما هي المواضيع الأكثر شيوعا في أعمال الشعراء العرب المهاجرين في أوروبا؟ وكيف قاموا بتناول هذه المواضيع؟

○ ليو نا: تشكّل الغربة والهويّة الثقافيّة المواضيع الأكثر شيوعا في أعمال الشعراء العرب المهاجرين في أوروبا. أمّا الغربة فهي تتّسم بأبعاد ثلاثة: الغربة المناطقيّة أو الجغرافيّة وفيها مشاعر الحنين إلى الوطن، والغربة الثقافيّة وفيها اشتياق للعودة إلى أمجاد تاريخيّة، والغربة الفلسفيّة وتنطوي فيها التأملات الميتافيزيقية. مثلاً الشاعر اللبناني د. سرجون كرم لا يكتفي بالكتابة عن غربة فردية أبدًا، فبدلاً عن ذلك تناول غربة البشر في الدنيا من المنظور الكوني. ويظهر هذا واضحًا في قصيدته المعنونة بـ «غربة الدايم دايم»، إذ يقول الشاعر فيها:

«أريد أموت خارج هذه الأرض
في مكان لست ضيفا عليه (...)
لا قبر لي في هذه الأرض
أبني فيه فُلْكًا من خشب الهيكل
وآخذ معي من كلّ جنس أنثاه».

إذا نظرنا إلى الهويّة الثقافيّة المتجسّدة في أعمال الشعراء العرب المهاجرين في أوروبا، سنلاحظ أنّ هؤلاء الشعراء من ناحية لم يندمجوا في المجتمع الغربيّ بالمعنى الحقيقي ولا العربي على حدٍّ سواء .كما أنّ بعض الشعراء أخذوا الهويّة الثقافيّة كخيط محوريّ في قصائدهم، وخير مثال على ذلك الشاعر السوريّ المقيم في ألمانيا أحمد إسكندر سليمان الذي يعتبر أنّ مصدر المشاكل في سورية حالياً يكمن في المكوّنات الثقافية، بحيث أن الثقافة الأصليّة في سورية هي الثقافة السوريّة القديمة .بناء على ذلك، فهو دائماً يستخدم الأساطير الشرقية القديمة كأدلّة من أجل إنكار انتماء الهويّة الثقافيّة السوريّة الحاليّة إلى الثقافة العربيّة الإسلاميّة. ويقول في إحدى قصائده:

«أليس غريبًا
أنّ المدن التي بنيناها
حين كنّا أبناء إيل الأوّل.. هدمناها
بعد أن أصبحنا أبناء الله «أو»
الكلدانيّون
الذين بنوا بابل
كانوا يتقنون علم الأفلاك (...)
أنا كلدانيّ قديم
يعشق السحر الأسود
يحاور الآلهة ويكتب الآن الشعر».

اختلافات نماذج الشعر العربي

● «الحصاد»: كان الشاعر العراقي فاضل العزاوي والشاعر والسوري أحمد إسكندر سليمان والشاعر اللبناني سرجون كرم بين النماذج الذين قمتِ بدراستهم في أطروحتك، ما سببُ هذا الاختيار؟ وما هي وجهات الاختلاف بينهم؟

○ ليو نا: عندما قمت باختيار الشعراء العرب المهاجرين في أوروبا، حاولتُ أن أجعل النماذج أكثر شموليّة من حيث الخلفيّات الدينيّة والسياسيّة والاجتماعيّة. فالشاعر العراقي فاضل العزاوي كان شيوعياً انحدر من بيئة سنيّة استقرّ في ألمانيا هرباً من الاضطهاد السياسيّ، والشاعر السوريّ أحمد إسكندر سليمان ترك سورية مهاجرًا إلى ألمانيا بعد اندلاع الحرب الأهلية في سورية وهو من العلويين السوريين. أمّا الشاعر اللبناني د. سرجون كرم فهو مسيحي أرثوذكسي ذو خلفيّة مرتبطة بمبادئ القوميّة الاجتماعيّة والعشيرة الحرّة، اختار العيش في ألمانيا بعد حصوله على شهادة الدكتوراه في الأدب العربيّ من جامعة هايدلبرغ. هؤلاء الشعراء الثلاث يمثّلون أجيالاً مختلفة. لكلّ شاعر خصائصه من حيث كتابة الشعر، فعلى سبيل المثال، تتّصف قصائد الشاعر العراقي فاضل العزاوي بأسلوب السرد وكثرة استخدام طلقة شعرية. ويميل الشاعر السوري أحمد إسكندر سليمان إلى توظيف الأساطير الشرقية، والشاعر اللبناني سرجون كرم إلى اقتباس النصوص الدينيّة والتأمّلات الميتافزيقيّة.

● «الحصاد»: كيف كانت ملامح المدن الأوروبية الموصوفة في قصائد هؤلاء الشعراء العرب الذين يعيشون في أوروبا؟

○ ليو نا: في قصائد الشاعر فاضل العزاوي «أنا دائماً أتسكّع في شارع ما في المدن الأوروبية وحيداً دون هدف»، والقصص التي رواها الشاعر دائماً ما حصلت في أماكن مثل رصيف في «بانهوف» أي محطةّ القطار أو إحدى البارات. أمّا الشاعر السوري أحمد إسكندر سليمان فهو لم يصف مدنًا أوروبيّة بطريقة مباشرة في أشعاره أعتقد أنّ المدن الأوروبية في رؤيته عبارة عن حدائق حيث تتفتح الزهور لثقافة التذوّق. من بين هؤلاء الشعراء العرب الذين يعيشون في أوروبا، يبدو أنّ الشاعر اللبناني سرجون كرم والصيني غو تشنغ».. والإدهاش ثالثهما «للمقارنة بين هذين الشاعرين؛ وقبل أيّام عندما قمتُ بقراءة قصائد للشاعر سركون بولص وجدتُ بالمصادفة في ديوانه «عظمة أخرى لكلب القبيلة» قصيدة بعنوان «تو فو في المنفى». وللمصادفة نشر الروائيّ العراقي سنان أنطون عام 2017 مقاله «سركون بولص وأشباح تو فو» باللغة الإنجليزية في مجلّة الأدب العالمي، وقد أشار سنان إلى النقاط المتشابهة بين هذين الشاعرين. وبرأيي، أن الفكر الجميل والمشاعر النبيلة في الأعمال الأدبية دائماً ما تعرف طريقها إلى قلوب القرّاء مهما كانت جنسيّاتهم. ■

استدراكات

(1)
يأكلني الوقت،
ينام فوق جمجمتي صهيل
يدعى فرس الزمان...
(2)
أيتها العنقاء ،
كنتُ لا أريدك ،
لأنك تُسكرينَ خلوتي ،
برغباتك...
والآن،
لا يمكنني التنفّس ،
دون التفكير بحركاتك...
(3)
يا امرأة،
أتخيفيني بجمالك...
لا شيء يقلق شاعراً ،
اعتاد الرقص على خشب الصليب...
(...)
لن أحب أمكنتي أكثر منك ،
فالرجل الذي قامر بسمعتي ،
تركني لسبعين عاماً من النكبات ،
وأنت تلوحين بصمتك ،
وأن أحبو على سطح الكلام...
(...)
كل شيءٍ ينام في الظل ،
ما سواي...

حين بلغت ،
أدركني الله بلوزتين ،

يُسرى للتكوين الأرضي،
ويمنى ، لرؤيا الأحزان...
ورغم ذلك ،
ما زلت أبحث عن عُريي،
النائم بين الأكوان...

أكثر، أقل

كلما تناسلت أكثر،
صرت احتمالاً أقل...
العالم مقبرةٌ عظمى،
موتاه أكثر من الموت،
لأن قلوبهم أقل...

الوجه يصبح أكثر
حين شروده أقل...

والفضاء يصبح أكثر
حين يحملني أقل...

يصير الغائب أكثر،
حين يحضرني أقل...

لا أحلم بالأكثر
كي يأويني الأقل...

هذا القليل، جميلٌ،
وخطيرٌ،
وكثيرٌ،
لأنه يحلم ببعض الكثير،
ليكون الأقل...

بلد

قبيل يذهب للنوم ،
صاح بي أبي:
يا وَلَدْ...
خلِّ عينكْ عالبلدْ...
فهو، يحمل مني ما لم تضعه
أمّك لي ،
وما لم يرضعه أحدْ...
(...)
يا وَلَدْ...
انتبه بعد نومكْ
أن تقلق على نفسك،
لأنّ ظلّك واقف بينَ وجهين ،
وجهٌ أوّله أنت ،
ووجهٌ آخره عَدَدْ...
انتبه يا وَلَدْ قبل وعيك ،
أن تحمل الصبرَ بحُلمك ،
والفكرَ بعلمَك ،
والسرَّ بقلبك ،
واختر لعينيكَ المَدَدْ...
ولا تعجب كيف العصر يكون ،
بل كيف أنت تكون...
وقُلْ :إنّ أبي لم يَنَمْ ،
كي يستيقظ قبل المنام البلد..

سقوط

-1-
تبحث جدّتي عن أهلٍ
يرثون أسئلتي...
فهي حتى اللحظة ،
تفتش المقاهي والأرصفة
وعُلبَ النهار،
مرفقة خوفها وكياستها ،
بعتب أمي ولوم أبي ؛
كانت تظلّلني برأفتها ،
حين تعصى الموت ،
بصوتها المبحوح ،
خُذْ ندمي ولا تراحم الوقت ،
فما زلت أهوى الزبيب واللوز والتين ،
فاعْقد حاجبيك عليك ،
ولا تنم إلاّ بين يديك ،
ستعرف أحلامك أنك مني ،
وأني إليك...

-2-
كان أبي يُخفي رشاقته
كي لا يدلّلني ،
وأمي تُمسك بقضيب الرمّان
خلف بابِ الوقاحة
لتؤدّب عُريي...
إثنان سقطا في امتحان المتاهة ،
جسدي ،
وأفكارُ أبي عنّي...
وأنا بين حدّين أُغنّي...

اخترت لكم

بائع الشعر لم يأت

لينا شكور
سوريا

ربما أوقفه حاجز أمني
وأجبره على رمي حمولته
على الرصيف
أو في أقرب حاوية.

ربما سقطت منه دمعة
على جثث قتلى
فقطعوا رأسه.

هل كان يصعد سلما
إلى أكوان بعيدة
وزلت قدمه
في ثقب الاوزون!
أو ضل طريقه
في غابات اللغة
وهو يطارد عصفورا
يدعى الحرية.

أمص جاء
حاملا سلال قصائده
فقرأ فقط.
للأفواه الجائعة
لا بد أنه عبر البرزخ
وأصبح أسطورة
حيث عشتار
تعجن الشمس كل صباح.
حيث الكينونة حاضرة
والوجود سفر
إلى الآخر.

لم يأت
بائع الشعر.

يعدّها
نعيم تلحوق

تعال لنشتري قناعاً

مردوك الشامي*

■ في زحمة الأوجاع والشوارع والأرصفة المبللة بالقلق والفوضى...
لا تنسَ أن تشتري قناعاً جميلاً لتستر به وجهك وملامحك كي لا يعثر عليك الوباء المقيت...
لا يهمُّ أن يكون قميصك شبه عارٍ فجسمك اصلاً ليس لك ، ولا يهم ان تكون ياقته منشّاة ومن ماركةٍ فاخرة...
ولا يهم أن يكون لحذائك قرقعة كؤوس النبيذ ، حين يضرب الأرض كراقص فلامنكو اسباني...
المهم أن ترتدي قناعاً يليق بخيبتك... بهيبتك المثقوبة بالخذلان...
أعتقد انه الكرنفال الأهم لكي تخلع وجهك وترتدي شيئاً يشبهك...
دون أن تشعر بالخجل والذنب...
أنت بمجرد خروجك إلى الطريق لن تكون أنت...
ستكون حتما سواك... أو ربما ما تريد للآخرين أن يرونه فيك...
لا بأس أن تلفّق لنفسك سيرة ذاتية مشرّفة، فلا أحد سيسعى وراءك ليدقق في حسابات الزمان، ولا بأس أن تستكري صوتاً لا يشبه صوتك، ونظرةً رأيتها مرة في عينين من زجاج فاخر...
إذا وجدتهم يحرثون البحر، افعل مثلهم، فالعقول في هذه الأيام شبيهة بالزبد، والملح سيد الساحات جميعها، فاقتنِ رغيفاً ولو يابساً لتشارك المنافقين الخبز والملوحة...
قبل ألف مجرة ونهر وكثبان بلا عدد أدرتَ لوطنك ظهرك وهربت بجلدك قبل أن يسلخوك على عتبة بيتك العتيق...
كنت تخاف على دمعة أمك العجوز تنكسر مثل قدح الغيم، فلا تعود تنهمر بالغبطة كلما دعتك صباحاً إلى فنجان قهوتها الأثير...
كنت تخشى على حبيبتك الصغيرة أن يترمّل قلبها قبل أن تجتمعا في بيت من أمنيات...
لم تكن جباناً على الإطلاق ، لم تكن شجاعاً، كنت مجرد شاعر يشعر بالخوف لو أن المحبرة انكسرت، وما عاد القلم الذي يتكئ عليه عكازاً للصبر والأحلام المؤجلة...
يا أنت الذي تقف مخذولاً في مراياي، أعرف أنك لا تعرفني، ولا أنا أعرفك، فالكثير من الغبار تراكم هناك، والأقنعة استنفذت خوابي المكر...
كثيراً رفضت سواك فيك ، لكنك كنت تدرك أنك سقطت منذ أسقطتك من الرحم كفّ القابلة الوحيدة في مدينة القمح والغرباء...
لكي تستمر وتعيش في مدن الغبار...
تعال لنشتري قناعا...

*شاعر وكاتب سوري

حدّث الأغنية بالمسرح وحدّث المسرح بالأغنية

ستون على الغياب.. مائة على ولادة عمر الزعني

بيروت: عبيدو باشا

ستون عاماً على غياب عمر الزعني. مائة وعشرون على الولادة ، ولا يزال أحد لا يستطيع أن يطوي ما أنجزه الرجل لا في خزانة ولا في ثغرة في جدار غرفة. ذلك أن عمر الزعني ، صاحب النظرة الواثقة ، صاحب النظرة المرتابة، لم يتهاد أمام المايكروفون كأي مطرب من مطربي المقاهي والفنادق ، حين وجد أن لبنان في الطريق إلى الهاوية. أشعل الرجل النار في منازل السياسيين ومكاتبهم المرهفة وهو يهز حواسهم بالكلام على مقاومتهم. لا هم وحدهم فقط ، لأن الزعني قاوم العواصف الإجتماعية كما قاوم العواصف السياسية. كأن أغنيته أغنية مكتوبة بالأبيض والأسود ، جعلها على موسيقى بالأبيض والأسود. أورقت أغنيته مؤمناً بموته لا بموت لبنان . غير أنه لم يوفر لحماية هذا البلد المصطك ، منذ التأسيس كالأواني ، من خيول آل فرعون إلى عندك بحرية حيث انتقد شارل دباس أول رئيس لجمهورية لبنان الكبير وصندوق الفرجة . كل أغنية نخلة تواجه عواصف صبا عمر الزعني إبن التاجر البيروتي في منطقة السور .

وصل الأغنية إلى حد أنها بدت كالبصمة ، من يسمعها يعرف أنها أغنية عمر الزعني. حيث تبعه الناس كما تتبع العصافير الأغصان. الأجمل في أغنية الزعني أنها كالمائدة ، ما أن تلمح عليها الطعام حتى تجوع من قواها التعبيرية .بالأغنية صور ، بالأغنية ألبومات من الصور بالأسود والأبيض. الأبيض والأسود دوماً، ما يذكر بالسينما المصرية حين نام الناس واستيقظوا على السينما هذه. ارتجف السياسيون على وقع أغنية الزعني ، ولم يتعب الناس من سماع الأغنية وهي تبدو كمصباح في سقف. ذكر السينما المصرية لأن أغنية الزعني نادتها الأغنية المصرية كما نادت الأغنية المصرية. مطلع أغنية بيروت تقول للأغنية المصرية من أجلك سمعت عالياً كل شرائط الموسيقى ، كل شرائط الأغنيات . قربه من الأغنية المصرية كقربه من سريره. كما أن أيام حبه لبعض فصول الأغنية والموسيقى التركيتين. بيد أنه في عمله على الأغنيتين لم تتعرق يداه، حيث أسدل الإحساس البيروتي على هاتين الوديعتين الهامتين بأغنية الزعني ، من ناداه الرؤوساء والوزراء باسمه من قدرته على إسقاط نجومهم من سمائها .

ولد عمر الزعني بالعام ١٨٩٨ وتوفي بالعام ١٩٦١. لم يبحث عن حياته طويلاً حتى وجدها بالأغنية ، بعد أن خدم بالجيش التركي وعمل مدرساً في بيروت ودمشق. لم يجذف لكي يصل إلى الأغنية ، لمّا وجدها كما يجد الحبيب حبيبته. هكذا تلا عالياً ما أحسه وما فكر به ، ليصحو السياسي مكتئباً بالليل وليسمع المواطن أنينه في هذه الأغنية وهي تجدل الكلام على التقوسات الإجتماعية والسياسية . لو كنت حصان واحدة بيت فرعون جلوس عال على الكرسي الإجتماعي (لو كنت حصان ببيت فرعون / باكل بندق باكل فستق / ما بنام جوعان). أغنية نقد ، أغنية هجاء، أو أغنية قنص بالنيران الصديقة. أغنية عمر الزعني ليست أغنية سياسية في جزئها السياسي، أغنية لا تهجر وهدة نشأت فيها، وهدة الكلام على السياسة لا ابتداع صنف يغنى في حلقات الرواة بوصفها أغنية تستيقظ كغزال لا كبومة . لاعلاقة لأغنية الزعني إلا بالأحلام. أغنية تلتهم القضايا النائمة ، بدل أن تشتبك لا بتغيير تسريحة شعر المونولوغ. إلا أنها تبقى أغنية طائر لم تخذله أنثاه ، لم تخذله أغنيته . لهذا بقيت ، لهذا تبقى وستبقى ، من ملء الخراب بالإبتسامات الباردة والساخنة. ولأن الزعني رجل حالم بأغنية حالمة بالتغيير على أرض ، لا يهزها أحد إلا الزعني. عمر الزعني رجل ضد البله، ضد الغموض. رجل لا يرتدي خوذة لكي يذهب إلى الحرب. ولأنه ضد الغموض، ضد البله، لم يرد أن يطر ، أن تطرد بلاده من جغرافيا البلاد. هكذا وجد وجه كل مختل فؤاد. المختلون كثر. سلطات وأفراد وهيئات ومظاهر وعيون وعقول. تلك مرحلة انصلبت فيها البلاد ، على التوابيت. احتلالان متتاليان. اختلفا على كل شيء ، إلا على القشلة . هذا جزء من التاريخ القديم . عمر الزعني من التاريخ القديم . بيد أن صوته لم يضع، لا يضيع في المناداة. هكذا لم يفقد سطوته بقديمه على الوجوه الجديدة. هكذا هو كل من هو ضد التهافت. ومن هو على هذه الصورة لا يفقد وهالته على الأوضاع ولو مر زمن شد البلاد من شعرها المجنون.

المدهش أن أغنية الزعني، أو مونولوغاته، أغنيات ومونولوغات غير متعسفة. لأنها تمتلك جمالياتها . كأنها أقوال مجودة. تجويداً لا علاقة له بتجويد الشيخ إمام الألحان أحمد فؤاد نجم . يجود الشيخ سور القرآن. هذا من روايات حب الكتاب. غير أن التجويد يصل إلى حد الهذيان بالكثير من الأحيان . حيث أن استعماله ، لا يحرم الأغنية رهافتها، بل يحاول أن يؤدي الأغنية بذاتها مع السعال والصراخ والتنشيز المقصود. أو استعمال أصوات بعض الهواة بدون قيادة لاستعمالهم. لأن الغاية من الإستعمال التأكيد على أن الأغنية ليست جسداً مقدساً وأن يقرأ الأغنية أو مجودها أو من يتلو نصها لا عليه سوى أن يفصح عن الكلام . فقط أن يفصح عن الكلام . حيث لا تنتهي حربٍ الأغنية حتى يستبد التعب بالجميع. انتاج الأغنية حربٌ، الإحتراف حربٌ بالحرب. لا يرغب عمر الزعني في أن يردي أغنيته ولا أن يلطخ فستانها بالوحل. ولا أن يهديها شالات من حرير. أغنية الزعني من نحاس ، من قسوة على آخر ما تبقى من ضوء في آخر النفق . لذا ، قادته إلى السجن ، حيث اختفى مراتٍ كما يختفي سمان في ادغال القصب.

تخترق أغنيته الظلام بسجيته ، بعد أن تلمع في وجدانه ، ثم في عينيه . غير أنه لا يناور حين يتركها بأحيان طويلة، كما لو أنها متروكة على ارائك في الحديقة كالشراشف أو الملاءات المغسولة لكي تنشف تحت ضوء الشمس . إذ يترك أجزاء منها للتلاوة ، بدون موسيقى. كلام كمن يتلو حكاية في شلال من الرومانسية. «بيروت» نصه الأزرق. بيروت زهرة بغير آوانها/ بيروت محلاها ومحلا زمنها بيروت يا حيفا ويا ضيعانها . أغنيات مباشرة ضد الجفاف ، أغنيات ضد الظلام. وأغنيات تفتح نفسها على اللعب على الكلام) شم الهوا / أكل الهوا. (أغنيات حرب على الهوان. أو مونولوجات تفصح عن ذروة من ذرى الفن البيروتي. أو فن المدينة. أغنيات رموز. بعض الأغاني أيقونات. قدم شكوكو مونولوغات كثيرة. رجل ظريف ، غير أنه لم يمتلك شغف البناء. شغف البناء عند عمر الزعني يتلازم والبناء. الزعني بناء. ولأنه بناء وقف على تقاطعات البلاد التراجيدية، بين المراحل والأزمنة. ناهضت أغنيته كل خيالات المحتلين. ناهضت حضورهم على أرض الواقع. أواناً بأوان. أغنية الزعني أغنية أوان. مونولوجه مونولوج أوان. ابتعدا عن العبث، بصالح التصدي للعبث بمصالح البشر. لم يحسب نفسه على طائفة ولا على طائفة. هذا رجلٌ وفيٌ لكل ما له علاقة بالتربية لا بالتعليم. الإحتلال عنده، احتلال بندقية واحتلال السذاجة لعقول المواطنين وعسف السياسيين. إسماعيل ياسين مونولوجيست كشوكوكو، غير أن مونولوغاته بعيدة من مونولوغات الزعني. مونولوغات غير منقطعة عن الجذور ، بمخزون وعي هائل.

قاتل عمر الزعني العالم البوليسي بالفن. قاتل بالكنه والغاية، لذا، ارتقت أغنيته، كما يرتقي بشري بحياته، بعيداً عن الآلهة الخفية. مدهش هذا الرجل، إذ أراد أن يحسّن النوع، حتى وجد ذاته في كتابة نوع آخر، يقوم على دمج الأجناس. الموسيقى والكتابة والآداء والروح والمنطق. منطق بساطة بأحيان وتبسيط بأحيان. لا ضرورة لتكرار الكلام على الفرق بين الإثنين. التبسيط كلام على السطوح. البساطة صعود صعود إلى أعلى المنارة. تتغير الظروف ولا يتغير الرجل. يتغير وجه الإحتلال ولا يتغير الرجال. رجل بنصوص لا تنتمي إلى المجموعة الكونية للنصوص، إلا حين يتداخل النص بالموسيقى.

نص متباسط، فقير بلغة الصراع الطبقي ، حتى يدخل بالموسيقى (زياد الرحباني قريب من تجربة الزعني بأجزاء من الأغنية هذه). موسيقى نضجت بنضوج الظروف. بنضوج الرجل. نضجت الأغنية بظهور المسرح عليها. مسرّح الرجل الأغنية. المسرح الحاضنة اللاإصطناعية لأغنية الزعني. لا غرابة بذلك. ذلك أن الرجل حدث الأغنية بالمسرح وحدث المسرح بالأغنية. الدراما عُرف الأغنية .لولا المسرح لما تقدمت الأغنية .لولا الأغنية ، لما وجد الزعني دوره بعصف المدينة. بحياة المدينة العاصفة .أغنية لا تقع ولا تجنح إلا إلى الرفعة البشرية، ولو أن تفكيكها العلمي والضروري لم يحدث بعد . ذلك أن كل من حاول قراءة الأغنية تحسسها لا قرأها. وهذا نقص بحاجة إلى تعويض.■

اليوم العالمي للإذاعة

■ لا يزال العالم يعامل الإذاعة وكأنها تعيش في عالم بارد ، حين تعيش وسائل الإرسال الأخرى في عالمها الدافئ. التلفزيون في المقدم، بالرغم من الإذاعة المليئة بالنسيان ، علمت الوسائل الأخرى المشي على أرض الواقع ، حين وجدتها أمامها كأولادها. مذاك لم تملك سوى الفراغ والوحدة. انتهت حرارة الإذاعة مع حزن الإذاعة على ذاتها. تركت الأمر على غاربه ، حين راح مشاهدو التلفزيون يمرون من ورائها ومن أمامها. يلتقطون بضع جمل. سوى لا يقوون إلا على العودة إلى نشرات الأخبار والتقارير المصورة وبرامج التوك شو ، التاركة قتلاها من دون دفن.

لا ذكاء في الأمر هذا. لأنه لا ينبغي أن نتذكر ، ينبغي أن لا ننسى حتى لا نتذكر أن الإذاعات لا تزال تسبح في حياة المواطنين في بحرها الأوسع من بحر أي بحر آخر . إنها تمتلك على الأقل القدرة على أن تدفع المستمع إلى التخيل في عصر سيادة المادة. ثم أنها تمتلك ، بالعودة إلى سباحة الإذاعة الواسع في الحياة ، أنها الأعظم في أوقات الذهاب والعودة من العمل إلى المنزل أو العكس ، أو في رحلات السيارات الطويلة أو في الرحلات الطارئة والمفاجئة.

عدد مستمعي الإذاعة يفوق أعداد مشاهدي التلفزيون. هذه قضية لالبس فيها بحسب الإحصاءات المنشورة في بلاد أوروبا وفي عواصم العالم العربي.

مد الإذاعة على وسع الخيال. لا يخفي بها أحد وجهه كما يحدث حين يشاهد أحدهم التلفزيون ، حيث الموت الواقعي واللاواقعي للحواس. الإذاعة ملكة الحواس. الإذاعة هذا الحضور الغامض ، رأس الغبطة على الطرقات والأوتستردات والأحياء الداخلية ، العبور الواثق من الطرف إلى الطرف. لن تشدها الأرض إلى الغيبوبة. ولأننا نشهد، الآن، ثورة حقيقية، في كيفية نشر المعلومات والحصول عليها، باتت الإذاعة، في خضم التغيرات الجذرية الهائلة، التي يشهدها العالم في الوقت الحاضر، أكثر أهمية ونشاطاً وتشويقاً، مما كانت عليه في أي وقت مضى. وهذه هي الرسالة التي تود الأونيسكو التأكيد عليها.

(٢) تعد الإذاعة في الأوقات الصعبة والأحوال العسيرة، الحقل الدائم القادر على الجمع بين مختلف الأفراد والجماعات. إذ تظل الإذاعة ، في جميع الأوقات والأحوال، سواء أكنا في طريقنا إلى العمل أو في مكاتبنا أو في منازلنا أو حقولنا، سواء في زمن الحرب أو السلم أو في حالات الطوارئ، مصدراً مهماً للغاية للمعلومات والمعارف ، يشمل مختلف الأجيال والثقافات.

(٣) تدعو الأونيسكو، الجميع ، باليوم العالمي للإذاعة ، إلى الإرتقاء، بقدرة الإذاعة، على تعزيز سبل الحوار والإصغاء، التي نحتاج إليها ، للتصدي للتحديات التي تواجهها البشرية جمعاء.

(٤) تتيح الإذاعة للناس كافة ، رجالاً ونساء، التعبير عن آرائهم ، وتعمل على تبليغها.

(٥) تصغي الإذاعة إلى الجماهير وتسعى إلى تلبية الإحتياجات الخاصة بها. وهي وسيلة فعالة للذود عن حقوق الإنسان وصون كرامته. ووسيلة فعالة لإيجاد الحلول للمصاعب التي تعترض سبيل كل المجتمعات.

(٦) الإذاعة عالمي بيوم الإذاعة العالمي.

(٧) وافق المجلس التنفيذي لليونسكو على اعتماد اليوم العالمي للإذاعة في ٢١ شباط من كل عام . وقد جاءت فكرة الإحتفال بهذا اليوم من قبل الأكاديمية الإسبانية للإذاعة. وجرى تقديمها رسمياً من قبل الوفد الدائم لإسبانيا لدى اليونسكو بأيلول من العام ٢٠١١.

(٨) تم إقرار اليوم العالمي للإذاعة في شهر ديسمبر ٢٠٢١، من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة. ■

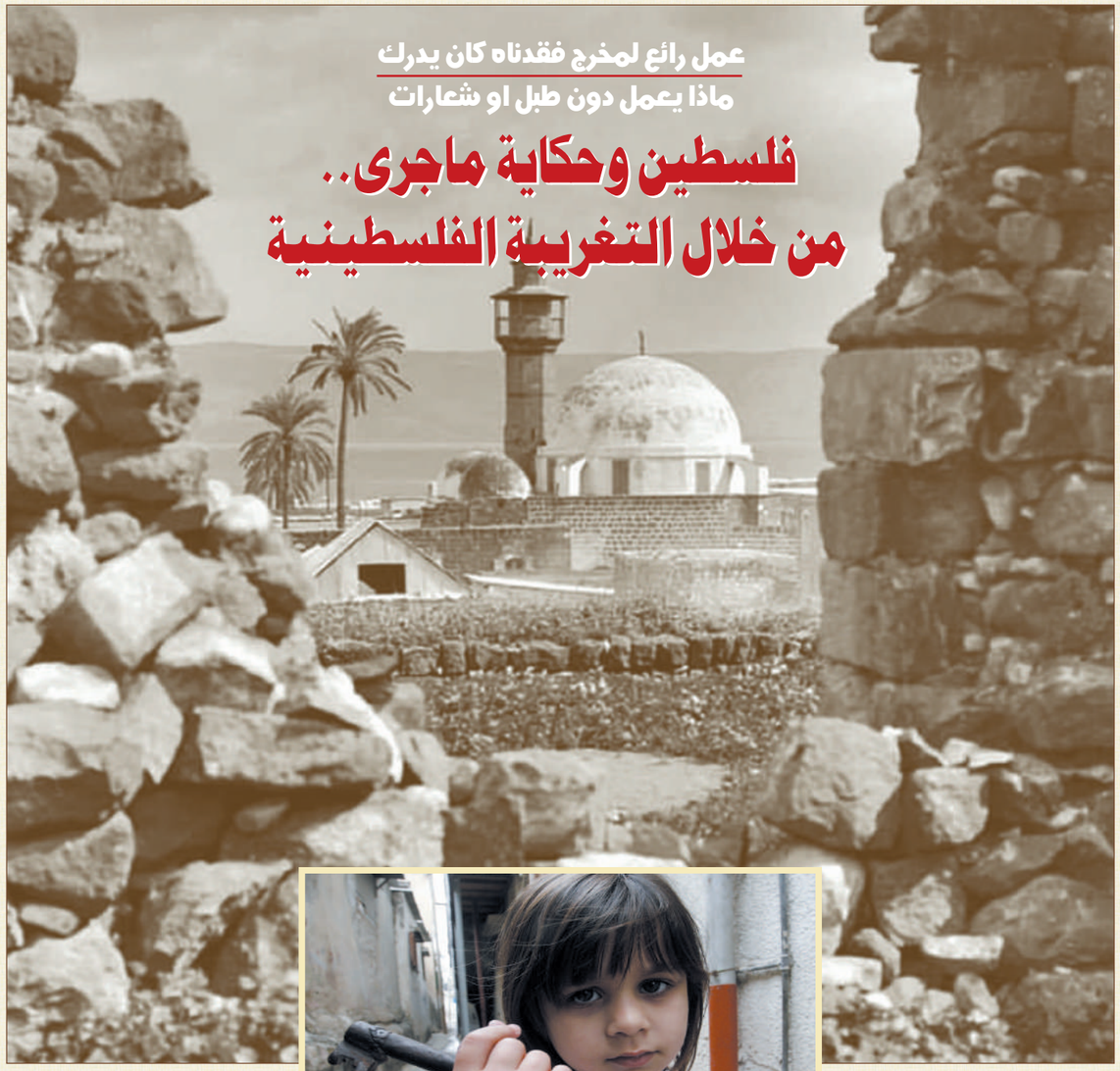

عمل رائع لمخرج فقدناه كان يدرك
ماذا يعمل دون طبل او شعارات

فلسطين وحكاية ماجرى.. من خلال التغريبة الفلسطينية

لندن: أمين الغفاري

يتميز ذلك المسلسل عن غيره من الاعمال التي سبقت في طرح القضية الفلسطينية، عبر صورها المختلفة، أنه يتعرض لها بطرح سردي،ومن خلال عرض يتتابع الى حد استعراض أحداثها عبر عقود من الزمن، وترجع فيه الفصول الى ما وراء (أحداث النكبة عام 1948)، وتجري الكاميرا بمتابعة دقيقه لأحوال أسرة، وما تعرض له أبناؤها من محن وأهوال ،دون ان تحفل الحلقات،بشعارات صارخة،أو شهادات زاعقة توزع المسؤوليات وفق الهوى أوالغرض. من جهة أخرى تكمن أهمية هذا العمل، في انه يساهم في انعاش ذاكرة بعض العرب بقضيتهم الرئيسية، وسط زحام القضايا التي تعتصر العالم العربي الآن.انه ايضا يعمل على تثبيت الذاكرة للأجيال الحالية التي تتعرض - دوما - لعملية غسل الذاكرة التاريخية،ليس فقط من الوجدان العربي، وانما ايضا من الفكر السياسي والأنساني، وذلك بتشويه النضال الفلسطيني ،ان لم يكن بتمزيق حقوقهم المسلوبه، بدواعي انهم من باعوا أرضهم.

ان المسلسل ليس هو غاية المراد ولا هو بالعمل المعجزة، ولكنه في الاول وفي الآخر عمل فني راق، يسلط الضوء مباشرة على قضية شعب، سلبت ارضه، وتنشط قوى متعددة لطمس حقه، وما يمكن ان يجره ذلك الى التكرار في سلب جديد للارض العربية. المسلسل يقوم باستعراض الحياة الاجتماعية الفلسطينيه بواقعها، من خلال احتياجاتها الحياتيه، وأيضا بأحلام شبابها، من خلال آمالهم المرتقبه، والطبقات ألأجتماعية التي تشكل مجتمعهم، والتي تجاهد من أجل مواصلة الحياة ،وسط ظروف قاهرة، واطماع شديدة الشراهة، والأمرّ من ذلك أنها ايضا غير انسانية !.

اشارت المسلسل

نقطة البداية ان المسلسل يستعرض قصة حياة اسرة فلسطينية تكافح من اجل ان تقيم أودها في ظل حكم الأنتداب البريطاني على فلسطين ،وهو احد نتائج الحرب العالمية الاولى، ووفق اتفاقية سايكس - بيكو التي عقدت بين فرنسا وبريطانيا عام 1916 ،لتقسيم الخلافة العثمانية بعد انكسارها في الحرب، وقد فضحت الثورة الروسية هذه الاتفاقية ونشرت نصوصها في جريدة «البرفدا». تم تعيين هربرت صمويل البريطاني اليهودي الصهيوني مندوبا ساميا في فلسطين لكي يقوم بتنفيذ وعد بلفور وزير الخارجية البريطاني الذي صدر في 2 نوفمبر عام1917 ، باعطاء وطن قومي لليهود في فلسطين.تلخص الأحداث التي مرت بها تلك الأسرة حقبة تاريخية شديدة الأهمية ،امتدت مابين سنوات الثلاثينات ،حتى سنوات الستينات، وعلى وجه التحديد حتى نكسة يونيو عام 1967 من القرن الماضي (القرن العشرون) وقد ذخر المسلسل بالأشارة الى الزعماء الذي قادوا حركة النضال الوطني في فلسطين حتى دخول الجيوش العربية الى ارضها ،وتبدأ بعدها مرحلة جديدة ،تتسع لا شك للمزيد من الاعمال الفنية التي تعالجها ،وقد شهدنا بالفعل العديد من تلك المحاولات ،تتفاوت في مستواها الفني والسياسي.

لم يضغط المسلسل على تفاصيل حركة هؤلاء القادة الكبار، ولكنه اشار لهم ربما حتى لاتستغرق تلك التفاصيل استمرارية السرد لرحلة تلك الأسرة في اشكاليات تلك الفترة القلقة سواء في عملية الهجرة الداخلية ومايلاحقها من تغريب وألذوبان في حركة الصراع من اجل استمرار الحياة ذاتها في خضم مخاطر جمة، فصوت الرصاص ،لاينقطع ،وعمليات الأجتياح للمدن والقرى تتصاعد، وما حدث في (دير ياسين) مفزع وقاهر،ورغم كل المآسي والشقاء والأحزان التي غمرت واقعهم ،فقد كانت المقاومة تتواصل رغم الافتقار للسلاح، أوللأمان .ظهر البطل (عز الدين القسام) في لقطه واحده، تشير الى دوره، واندلاع ثورة 1936 نتيجة اعدامه، وتمت الأشارة الى (فوزي القاوقجي) قائد جيش الانقاذ الذي قاد عدة معارك، واستقال بعد توقيع معاهدة 1949.

كذلك تمت الاشارة الى قائد عظيم من قادة المقاومة (عبدالقادر الحسيني) وقد قاد العديد من المعارك حتى استشهد في معركة (القسطل).

هذه الاشارات حتى وان كانت سريعة وعابرة الا انها عميقة الدلاله في استمرار النضال ،وتعميق فكرة المقاومه، وتلك معاني من المهم ابرازها عبر الأعمال الفنية ،وذلك لما تتمتع به تلك الاعمال من جماهيرية واسعه ،وتراها الأجيال التي لم تعاصر تلك الاحداث ،بجانب الأسر العربية بكافة اعمارها، وحتى الأطفال الصغار، فتلتصق تلك الاشارات العابرة في الذاكرة، لكي تشكل مخزونا نضاليا يمكنه أن يصبح زادا لأجيال تتواصل بالمعرفة، فالمعركة كانت، ومازالت، ولابد ان تتواصل في الحركه.

وقائع المسلسل

تدور وقائع المسلسل حول اسرة (اليونس)، وهي أسرة فقيرة تعيش في احدى القرى الفلسطينية وتتكون العائلة من الأب (أبو أحمد) ويقوم بالدور الفنان (خالد تاجا) وزوجته أم أحمد وتؤديه الفنانه (جوليت عواد) وألأولاد الأكبر (أحمد أو أبو صالح) وقد قام به الفنان (جمال سليمان) وعلي ويؤديه الفنان (تيم حسن) وحسن ويؤديه الفنان (باسل خياط) ومسعود ويؤديه الفنان (رامي حنا) وخضرة وتؤديه الفنانه (نادين سلامه).

ترتكز قصة المسلسل بشكل عام حول تلك العائلة «اليونس» الفقيرة التي تعيش في الريف الفلسطيني ثم تتحدد بشكل أكبر حول شخصية «علي» التي أداها تيم حسن وهو الراوي في المسلسل، وتبدأ ألأحداث بشكلٍ رجعي، حيث جاءت وفاة «أبو صالح» وعودة ألأبن للعائلة «علي» من أمريكا بعد أن نال شهادة الدكتوراه، ثم يقف ذلك الأخ «علي» أمام جثمان «أبو صالح»، ويشرع في شخصية الراوي ليقوم بسرد جوانب المأساة محدثاً نفسه بمرارة عن بطولة «أبو صالح» وخوفه على الذاكرة الفلسطينية، من ان يعتريها النسيان لدور حركة المقاومة وابطالها ، ثم يتبع ذلك المشهد شارة المسلسل، حيث تبدأ حكاية هذه الأسرة في قرية فلسطينيه لم يحدد اسمها عام 1933، اي أثناء الانتداب البريطاني ،وتكشف الأحداث عن معاناة تلك الأسرة من خلال الظروف الصعبة، وجوهرها الظلم والأستغلال الذي طال حتى في الدراسة وتلقي العلم لأبنائها.

تتطور حركة الأحداث، مع توالي الحلقات، فنشاهد تغير حال الاسرة ،مع تطور شخصية البطل (أبوصالح) وتقلده زمام القيادة لأحد فصائل المقاومة، في الزخم الذي أضافته ثورة 1936، وتشهد مرحلة من العدل والمساواة،مع باقي المجتمع المحيط، وتتزوج «خضرة» من مناضل آخر وهو «العبد» الذي يفتقد وجود السلاح في المعركه ،وتقدم الزوجة على بيع حلي زفافها، وذلك لشراء البندقية الأحدث والأدق لزوجها ،حتى يتمكن من أداء رسالته في المقاومه بشكل أكثر اقداما واقتحاما، وأيضا أمانا، بقلب ونفس راضية.

لكن المقاومة ايضا لها تضحيات على شكل آخر، وبمستوى أفدح ،فنشهد استشهاد الزوج في أحد ألمعارك، وتعود خضرة لتعيش مع الأهل ولايبقى من الزوج سوى البندقيه ،التي تحرص عليها خضرة، لتهديها للأبن ليواصل معركة الوطن وألأب معا. تشتد حركة الصراع بين

لقطة من فيلم «التغريبة» تجمع جمال سليمان وجوليت عواد.

تيم حسن في مشهد من فيلم «التغريبة»

الغزو الصهيوني وكفيله الاستعماري، وحركة المقاومه التي تتطلع الى السند العربي ممثلا في دخول الجيوش العربية، وهي أزمة كانت لها فصولها وظروفها، وايضا تداعياتها. سطوة المجتمع والتقاليد تضطر خضرة للزواج مرة أخرى، كما يتزوج ابو صالح ، واخيه مسعود، ويتعرض حسن لتجربة انسانيه، هي في دلالاتها أثر مما تفرضه الظروف القاهرة، ثم تتلاحق الأحداث مع قيام الأحتلال المزدوج البريطاني والصهيوني بعمليات التطهير العرقي لفلسطين، وانعكاس ذلك بتفاقم المشكلات المحيطة والمحبطه للفلسطينيين، وتبلغ النهايات المأساوية مداها في نهاية الثورة، وينتهي الأمر بالنتائج المروعة التي شهدتها الساحة الفلسطينية، وتصبح المخيمات بديلا للمدن والقرى، ومكانا للسكن والمأوى عوضا عن المنازل أو البيوت.

مع جيل الآباء والأحفاد تنطلق مرحلة اخرى من احداث المسلسل عبر عائلة «اليونس» بعد ان استقر بهم الحال في مخيم اللاجئين، فنرى «ابو صالح» وقد أصبح صاحب دكان صغير في المخيم ،وعلي أصبح أستاذا جامعيا بعد ان حصل على درجة الدكتوراه، في الوقت الذي استشهد فيه حسن، وأوصى ان تكون بندقية «العبد» التي استعارها من شقيقته أرملة «العبد» أن يتم تسليمها الى ولدهما) رشيد (الذي يعيش في كنف خاله «أبوصالح».

مع حرب عام (1967) تبدأ موجة هجرة جديده، ويرفض «ابو صالح» أن يلتحق بهذه الموجه، تحت اعتبار ان المكوث في الأرض في حد ذاته نوعا من الجهاد، وهو يفتح الباب بذلك الى النهاية التي شاء المخرج ان تظل مفتوحة أمام أجيال لاحقه، وذلك من خلال المشهد الأخير،فنرى«رشيد» أبن «العبد» و«خضرة» حاملا بندقية والده ، يتقدم على الطريق، ويسير بها ايذانا بمواصلة المقاومة لأسترداد الأرض السليبة.

المسلسل انتجته شركة سوريا الدولية للأنتاج الفني ،وجرى تصويره بالكامل في سوريا عام 2004، كتبه وليد سيف وأخرجه الراحل الفنان المبدع حاتم علي.

النكبة عام 1948

المخرج الفنان حاتم علي يراجع اوراقه الفنية لترتيب اعماله

حوار مع المخرج

قبل أن يرحل هذا الفنان المبدع (حاتم علي) اجريت معه الكثير من الحوارات، ولكن مسلسل «التغريبة الفلسطينية» تحديدا حاز الكثير من الوقفات معه تضمنت عوامل الاختيار، وكذلك اسلوب المعالجه الذي اتبع، وكذلك بعض القضايا التي تمت الاشارة اليها. من ذلك مثلا اسم المسلسل «التغريبه» وليس الشتات، فقال ما يمكن ان يفهم ويلتقطه العقل أن الشتات (تعبير يمكن ان يستخدم كتعبير في الجانب الأنساني ، وقضية فلسطين ليست مجرد (شتات) يستحق الرأفة أو الرحمه ، ولكن «التغريبه» هي غربة عن الوطن وعن الأرض وعن البيت ولذلك وجدنا تعبير التغريبه اكثر التصاقا بالقضية من تعبير الشتات الذي يعد أنه بلا رجعه، والمسلسل منذ البداية كان الأسم هو (الدرب الطويل) ولكن تم استبداله، وكذلك استبعنا كلمة (التهجير) وليس ذلك تقليلا من هذا التعبير، ولكن وجدنا ان الأنسب هو «التغريبة».

لم يتعرض المسلسل ايضا لأيلول الأسود أو الخروج من لبنان او اتفاقيات اوسلو أو الأنقسام الفلسطيني، وهي في مجملها قضايا المت بالقضية الفلسطينية ،وقد أثرت، وتأثرت بها من خلال التفاصيل. استطرد قائلا ان القضية الفلسطينية قضية مفتوحه،ولم ندخل فيها صراعات أو خلافات ايدولوجية ، وأثرنا أن نتوقف عند (معركة 67) والقضية بذلك لم تنته ،ومازالت فصولها مفتوحه. لقد أردنا باختصار (تحرير النص الابداعي من الأيدولوجيات). قال حاتم علي كذلك ،فيما يمكن فهمه لقد اردنا بذلك العمل نقل الدراما التاريخية من الصوت الخطابي الى المعالجة الدرامية التي تستند الى النص التاريخي بتداعياته السياسيه، وليس الى التأثير العاطفي من خلال الكلمة الرومانسية أو التعبئه من خلال الصوت الجهوري. يردد حاتم علي عباره تؤكد على معنى الالتزام بالقضية الأم بالقول «ان فلسطين هي قضيتنا جميعا ،وهي تستحق عن جدارة واستحقاق أن تتناولها الأعمال العربيه على تعدد مواقعها وجهاتها الأنتاجية».

يعد المخرج الراحل حاتم علي رائدا للدراما التاريخية العربيه - فقد قدم منها العديد من الروائع، ونذكر منها على سبيل المثال:

-1- صقر قريش ويحكي سيرة عبدالرحمن الداخل مرورا بسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، وفراره الى الأندلس ليعيد احياء الدولة الأموية مرة أخرى.

-2- ربيع قرطبه ويحكي سيرة المنصور محمد بن ابي عامر وطموحه الذي صعد به من مجرد رجل فقير الى حاجب الخليفة وحاكم الاندلس الفعلي.

-3- ملوك الطوائف ويروي قصة عصر ملوك الطوائف في الاندلس مركزا على المعتمد بن عباد

وغير ذلك من المسلسلات والأفلام السينمائية. رحل حاتم علي الفنان السوري المبدع الذي ترك تراثا يشكل ثروة فنية هائلة من حيث النوعية ومن حيث الصناعة ايضا، وهكذا يبقى الأبداع هو الفرس الذي يصهل بقوة واقتدار لكي ينبه ويعلم ، ويثري الحياة بالعذوبة والجمال والقيم الرفيعه. ■

جان عبيد... رحيله اغتراب

رؤوف قبيسي

بقلب أسيف أكتب عن الأليف الحبيب جان عبيد.عن السياسي المناضل، المثقف، الوقور، المتواضع، الهادئ الطبع، المحبوب والمحب لكل الناس. ما أصعبها منية تخطف من بيننا أقارب وأصدقاء واحبة، ما أكثر ما نكون في أشد الحاجة أليهم، وما أقساها حين تخطف سياسيا عاقلا مؤدبا مثل جان عبيد. نسيج وحده كان، عصفوراً في غير سربه بين جماعات السلطة المتسلطة. كنت أحبه، وكم تمنيت أن يكون خارج سرب السياسيين والسياسة، هذه التي كان يقول أمين نخلة انها ما دخلت نفس أديب إلا وأفسدتها! كنت أراه أديباً وكان أديبا عن حق، واقرب إلى مملكة الأدب من متنطعين بيننا، يشترون أقلاما من الدكاكين، ليقال عنهم حملة أقلام، ويعتبرون أنفسهم أدباء وشعراء !لذلك كان الحديث بيني وبين جان عبيد يدور دوماً حول مواضيع لا صلة لها بالسياسة، في التاريخ والشعر والثقافة وفي الموضوع الأثير عنده، الروحانيات. أعرف أن الكثيرين من المواطنين كانوا يتمنون أن يصل إلى المنصب الأول في البلاد، وربما كان من حسن طالعه أنه لم يصل في هذه الجمهورية المتهالكة. يكفيه فخراً أنه كان من أصحاب العقول المسالمة الواعية الراجحة. لم يحمل سلاحاً ويلطخ يديه بدم الأبرياء كما فعل غيره من لوردات الحروب، وممتشقي السيوف، وبقي بعيداً عن العصبيات والوانها المختلفة. لن اسرد سيرة حياته التي صارت معروفة، ونقلتها صحف وإذاعات وقنوات، ولن أكتب عن جان عبيد السياسي.عن جان عبيد الإنسان أكتب، وهذا أهم ما يعنيني في الرجل. رحيله جعلني أسترجع جلسات طويلة كانت لي معه، وأقولها الآن ومن غير تردد، أن جان عبيد كان يودع الحياة قبل أن يأخذه الموت. لست أدري ما إذا كنت أفشي سرا، لكنه سر لا يدرك كنهه إلا صاحبه، ولا يحسه مع مرور الزمن إلا من جالس الرجل واستمع إليه بشغف .وكلمعة الحباحب ينقشع هذا السر أمامي جلياً، وأنا أسترجع من حافظة الذاكرة حديثه معي في الروحانيات ونحن في مكتبه، ذاك المتواضع في تلك البناية العادية بمنطقة حرج تابت.

إذا سألتني أيها القارئ الكريم كيف انني لم أعرف هذا السر في حينه، وكيف انني عرفته الآن، فجوابي لك انه في الموت الذي أخذ جان عبيد، أو قد يكون من أشراط الساعة كما يقول المنجمون. أتساءل الآن، وانا على بعد الآف الأميال من رفاته، ومن مكتبه في حرج تابت، ودارته في بلونة، تلك البلدة الوادعة في جبيل، شمال لبنان، كيف أنني لم أستطلع منه ذلك السر الرهيب وأنا معه في الجلسات الأخيرة، لكن الزمن يكشف لنا دائما اشياء عن بشر لا نعرفها عنهم إلا بعد رحيلهم، وربما يكون هذا بعض افضال الموت على الحياة!.

جان عبيد

ولد جان عبيد مسيحيا وعاش مسيحيا، وكان اقرب إلى نبي الجليل من بعض رجال الكنائس، ورهبان الأديرة، وأقرب إليه من فريسيين جدد دلفوا إلى مسرح حياتنا وبدأوا يتحدثون عن حقوق المسيحيين !كان إيمانه عقلانيا وصافياً، وكنت أحترم هذا الإيمان لديه، وأبادله الإعجاب بسيرة يسوع، خصوصاً ما جاء فيها عن المجدلية، على رغم شكوكي بأنبياء التاريخ كلهم، وكان هو يعرف ذلك عني ويتقبله بصدر رحب. قلت إنني لن أسرد سيرة حياته، الحافلة بالأحداث والمواقف، لكن يكفي أنني عرفت فيه الإنسان، وهذا في نظري أهم من المناصب التي شغلها في حياته، والتي هي ليست شيئا بالقياس إلى ما كان في شخصيته من بعد إنساني كنت أقدره حق التقدير، ويقدره كل من عرف الرجل من كثب، وسبر أغوار نفسه وتطلعاته، وتواضعه ومحبته لوطنه، ووطنيته الصادقة، على رغم نظراتنا المتباينة فيه كسياسي لبناني وعربي.

كان جان عبيد يحدثني كمؤمن، يصلي صلاة خاصة تعلمها من والدته الراحلة التي كانت تتضرع إلى «ربها» وتناجيه بالقول إن أولادها أمانة منه بين يديها،" فإن كانوا صالحين أبقهم يا ربي، وإن لم يكونوا صالحين فخذهم، وتلك هي مشيئتك «إيمانه الواسع جعله يجل القرآن وما فيه من إعجاز، ويعتبره» تكريما للعرب واللغة العربية من الله، وأمانة على العرب أن يقدّروها ويحفظوها. «بعد القرآن، لا كتاب في نظره أعظم من نهج البلاغة»، أما شاعره الأثير فكان المتنبي، وعنه كان يقول: «شعر أبي الطيب من الجمال بحيث تصعب ترجمته إلى أي لغة في العالم». في اللحن والطرب كان «كلثومي» الهوى، وكانت في نظره البحر، أما الباقون من مطربين ومطربات فهم في نظره «روافد وجداول، وفي أحسن الأحوال أنهار، لكن كوكب الشرق هي البحر من دون منازع، وتبقى متربعة على عرش الغناء العربي» وفق قوله. لا أذكرأسبوعين مرا من دون أن أتلقى منه مكالمة، وكانت سونيا، مديرة مكتبه، تتصل بي وتقول لي أن الوزير عبيد على الخط، وفي كل مخابرة كان يبادرني بشتيمة، وبتلك اللهجة اللبنانية الشمالية المحببة !كنت أحب منه الشتائم، لما فيها من رفع للكلفة، ومن مودة ومحبة خالصة، وكان ينهي كلامه معي بعنوان أغنية أم كلثوم «أنا بانتظارك».

أعرف أنني لن التقي جان عبيد لا في القريب العاجل ولا في الأمد البعيد، وأعرف أن سونيا لن تتصل بي بعد الآن لتقول لي «أن الوزير عبيد على الخط»، أعرف ذلك، وأشعر بفراق الرجل، وسوف اشعر به اكثر إذا جئت إلى لبنان من دون ان القاه، أو اتفق وكنت في الشارع حيث مكتبه .لكن في جعبتي حيلة هي أشبه بالدواء المسكّن، ألجأ إليها عند كل فراق حبيب وحبيبة .حيلة تعلمتها من سيرة الأديب اللبناني الراحل سعيد نقي الدين يوم كان في مغتربه في الفيليبين، في ثلاثينات القرن الماضي .وقتها بلغه نبأ رحيل عمه الشاعروالأديب أمين تقي الدين في لبنان. لم يبك سعيد الأديب ولم يتحسر، بل كتب مقالاً عنوانه «أمين تقي الدين موته اغتراب». أقنع نفسه أنه ما دام هو مغترب في تلك البلاد القصية ولا يرى عمه، فذلك العم لم يمت، وما رحيله إلا اغتراب متواصل، ولن يكون فناء «حيلة الضعيف» كما كتب في آخر ذلك المقال، لكن ألسنا كلنا ضعفاء حيال الموت على أي حال؟! لذلك سأقنع نفسي أن جان عبيد الذي جاءني نعيه ما زال حياً، وأنني ما زلت مغتربا عنه. الفارق الوحيد أنني لن اسمع بعد الآن صوت سونيا مرة أو مرتين كل شهر، تقول لي إن الوزير عبيد على الخط. لكن هل اختفى ذلك الخط حقا، أم هو مجرد أسلاك اسطورية محفورة في الوجدان، وموصولة بالذاكرة، يتناهى إلى مسمعي رنينها الأبدي، وتبقى ترن وترن وترن ولا تتوقف إلا في ساعة غياب لا مفر منها، ولا عودة منها، أو في ذلك اليوم الذي «يرث الله فيه الأرض ومن عليها» كما جاء في الكتب، وكما يردد المؤمنون، مذ كانت الأرض وكانت الكلمة؟! ■

لبنان: نسرين الرجب

الأخصائي النفسي عزيز كفوري للـ«الحصاد»:

المريض يكره مرضه أكثر منّا

يُعاني الكثير من الأشخاص من أفكار وسواسيّة تسلُطيّة بصمت، خوفًا من اتّهامهم بالجنون، حتى تظهر حالتهم للمحيطين من خلال السلوكيّات القهريّة التي تتجاوز المنطق والمُعتاد من السلوك الانساني السويّ، ممّا قد يضعهم في مواقف مُحرجة وغير قابلة للفهم. يؤدي المحيط دورًا هامًا في التعامل مع حقيقة هذا المرض، إذ تتحول النصائح إلى نوع من الجلْد الذي لا حيلة للمريض في صدّها.

قديمًا، عالجهُ العُلماء من منظور دينيّ اعتقادي يرتبط بوسوسة الشيطان وحديث النفس الخفيّ، وحتى اليوم ما زال هناك الكثير من الأشخاص يُرجعون هذا الاضطراب إلى أمور غيبيّة.

مع تقدّم الدراسات النفسيّة الغربيّة، توصّل العلماء إلى أنّ هذا الاضطراب مرض لا حيلة للمريض فيه، فهو مسلوب الإرادة على الرّغم من وعيه بلامنطقيّة أفعاله، وفسّره بعض علماء النفس أنّه حيلة دفاعيّة لاشعوريّة للتخفيف ممّا يُعانيه المريض من شعور نفسيّ بالإثم أو الذنب كأن يغتسل المريض مرارًا أو يُسرف في تنظيف يديه. فتبدأ دورة الوسواس القهريّ من الفكرة التسلطيّة (مجموعة من الأفكار تفرض نفسها بإلحاح على المريض مخالفةً إرادته ورغباته)، يدفع هذا القلق المتزايد والرغبة المُلحّة الشخص تجاه الفعل القهريّ بهدف تقليل الإحساس بالقلق المؤلم، على الرغم من أنّه قد يعي لا منطقيّة ما يقوم به، لكنّه لا يتمكّن من التخلّص منه.

فما هو هذا الاضطراب؟ وما هي أسبابه، وما هي العوارض التي تُثبته، وعن تأثير انتشار وباء كورونا على المُصابين به، وما هي العلاجات المتوفرة له، حملت «الحصاد» هذه التساؤلات للأخصائيّ النفسي عزيز كفوري وهو أخصائيّ نفسي عيادي وتوافقي، مستشار صحة نفسيّة، مدرسي، معالج بالموسيقى، معالج إيحائي، أخصائيّ إسعافات أوليّة سيكولوجيّة وتدخُلات في الكوارث والصدمات، ومدرّب وحدات التدخّل للدعم النفسي اجتماعي.

سلوك تكراريّ ملّح ومزعج

يرى الأخصائي كفوري، أنّه غالبًا ما يتمحور هذه الوسواس حول النظافة والترتيب والتطهير ومواضيع معيّنة، مثل: الخوف من التلوث أو القاذورات، الشك ومواجهة صعوبة في تحمّل عدم اليقين، مع الحاجة إلى أن تكون الأشياء بشكل منظّم ومُتناسق، يُصاحب ذلك أفكارًا عدوانيّة أو مروّعة حول فقدان السيطرة وإيذاء النفس أو الآخرين، أفكار غير مرغوب فيها، بما في ذلك العنف أو الموضوعات الجنسيّة أو الدينية.

يشرح كفوري «أنّ هُناك أنواعًا عدّة من الوسواس القهريّة، إضافة إلى الموضوعات الرئيسيّة والتي لا تقتصر على النظافة والتطهّر، فتمتد إلى الفحص، العدّ، الحفاظ على النظام، اتّباع روتين صارم، والمُبالغة في الطمأنة».

لا يُمكن اعتبار أي سلوك تكراريّ وسواسًا ما لم يكُن ملحوظًا ويُشكّل إزعاجًا وقلقًا للشخص وللمُحيطين به، ومن أمثلة ذلك بحسب عزيز كفوري: غسل اليدين حتى تصبح البشرة مؤلمة نتيجة شدة فرك اليدين، فحص الأبواب بشكل مُتكرّر للتأكد من قفلها، فحص الموقد بشكل متكرّر للتأكد من إيقاف تشغيله، العدّ بأنماط معيّنة، تكرار الدُعاء أو الكلمة أو العبارة بصمت (التمتمة)، ترتيب البضائع المُعلّبة بحيث تأخُذ نفس الشكل، الاكتناز، ويمكن أن تتحوّل من نوع الى آخر وذلك بحسب الشخص والبيئة التي يتواجد فيها الشخص وسُرعة المُباشرة بالعلاج.

أسبابه ليست حاسمة

كلمة وسواس هي الترجمة العربية الشائعة للكلمة الإنجليزية obsession هو فكرة أو شعور تحتل العقل بشكل يسبب «الضيق»، بعض العلماء رآه نوعاً من العصاب وبعضهم رآه ممرًا من العصاب الى الذهان، الأمريكان وضعوه كواحد من اضطرابات القلق (Anxiety) ، وباعدوا ما بينه والذهان إلّا أن هذه القضية لم تحسم .

يرى عزيز كفوري: «أنّ السبب الدقيق للوسواس القهريّ غير معروف تمامًا، فقد أظهرت الدراسات أنّه ناجم عن مزيج من العوامل البيولوجيّة والبيئيّة، فبالنسبة للعوامل البيولوجية أظهرت الدراسات أن انخفاض مستويات هرمون السيروتونين فى الدماغ قد يؤدي إلى أعراض الوسواس القهري، وهناك أدلّة قويّة على أنّ الخلل فى توازن مستويات السيروتونين قد ينتقل بالوراثة، وبالنسبة للعوامل البيئيّة يمكن للضغوطات البيئيّة المختلفة أن تؤدي لاضطراب الوسواس القهريّ، خاصةً لدى الأشخاص الذين لديهم ميل لتطوير هذا الاضطراب، وهذه العوامل تشمل العنف البدني أو النفسي، وكثرة التغييرات الحادّة فى الحياة كتغيير المسكن، أو المرض، أو وفاة إنسان عزيز، أو التغييرات والمشاكل فى العمل أو الدراسة، أو المشاكل الزوجية».

ويُفيد كفوري: «أنّ هذا الاضطراب قد يكون مُصاحبًا لأمراض نفسيّة وعقليّة أُخرى»، ويتابع: قد يكون اضطراب الوسواس القهريّ (OCD) متصلاً باضطرابات الصحّة العقليّة الأخرى، مثل اضطراب القلق أو الاكتئاب أو مُعاقرة المخدرات أو الكحول أو اضطرابات العَرَة (تقلص لإرادي في عضلات الوجه).

وفي مكمن آخر يُفيد كفوري أنّ الوسواس القهري: «لا يُسبب الذهان ولكن في الأمراض النفسيه لا شيء يمنع من التقاء مرضين معًا فعندما يلتقي الوسواس بالذُهان يُعالج الاثنان معًا».

الأخصائي النفسي عزيز كفوري

ويوضّح: «يُعرف الوسواس القهري بأنّه فكر متسلّط يدفع الشخص إلى تكرار سلوك بشكل إجباريّ ويسيطر عليه، ولا يستطيع مقاومته أو التوقّف عن فعله أو التفكير فيه، على الرّغم من إيمانه ووعيه بغرابته وعدم وجود أي فائدة له، فهو يشعر بالقلق والتوتر إذا حاول مقاومة أفكاره، وهناك شعورٌ داخليّ مُلّح بشدّة للقيام بالسلوك. ويمكن معالجته في أي مرحلة».

وساوس كوفيد ـ 19

صاحب انتشار وباء كورونا، مخاوفًا كثيرة، زاد من هولها الإعلام والبحث الدائم على ضرورة اتّباع طرق الوقاية الصحيّة، فبرزت الحاجة لتكثيف استعمال المنظّفات والمعقّمات وغسل الأيدي المُتكرّر والكمامات الطبيّة وفرض نظام التباعُد الاجتماعي، إضافة إلى ضعف الجاهزيّة الطبيّة لمواجهة كُل مخاطر الوباء، وفرضيّة الموت اختناقًا وعلى أبواب المُستشفيات وغيرها من التحذيرات والإجراءات الوقائيّة التي قاربت المُبالغة أحيانًا، والتي ساهمت في مكمن آخر بظهور بعض الاضطرابات النفسيّة، وإلى زيادة الأعراض على المُصابين أساسًا ببعض أنواع المرض النفسيّ ومنها الوسواس القهريّ،

وعن ذلك يقول كفوري: «إن انتشار الفيروس يؤثّر بشكل كبير على المصابين بالوسواس القهري، ففي المقام الأوّل قد يؤدي إلى تصاعد القلق وتعزيز المخاوف السائدة من التلوث، وقد يؤدي إلى إجراءات وقائيّة مدمّرة، فبالنسبة لبعض الأشخاص الذين يعانون من هذا المرض قد يصبح فيروس الكورونا هو كلّ ما يفكرون بها».

«إن اضطراب الوسواس القهريّ الذي يترتب على فيروس كورونا لن يكون الأوّل، فهناك الوسواس القهري الخاص بالإصابة بمرض الإيدز، الذي انتشر في الثمانينيّات، وهناك جيل كامل أصيب بصدمة نفسية».

والسؤال: هل نحن معرضون للإصابة بالوسواس القهري بسبب فيروس كورونا؟

يُشير كفوري إلى «تباين الآراء الطبية حول إمكانية تسبّب فيروس كورونا بالإصابة بالوسواس القهري، فقد أشار موقع ويبميد (WebMD) الأمريكيّ المتخصص بالصحة إلى أنّه لا يمكن اعتبار فيروس كورونا سببًا مباشرًا للإصابة وذلك بالرجوع لأسبابه الأساسيّة والتي ترتبط عادة بتغيرات في الدماغ وعوامل وراثيّة وبيئيّة وعادات طويلة الأمد .إلّا أنّ الخوف حسبما أشارت المؤسسة الدوليّة للوسواس القهريّ ومنظّمة الوسواس القهريّ البريطانيّة».

(OCD- UK) يدور حول الحالات غير المشخّصة للإصابة بالوسواس القهري إلى جانب الحالات التي كانت تتلقى العلاج باعتبار الجائحة محفزًا قويًا للقلق والخوف والأعراض المختلفة.

التوعية والعلاج النفسي

إنّ علاج الأمراض النفسيّة يرتبط بالمفهوم الذي يتصوّره أو يعتقده الطبيب المُعالج لما هو إنساني، معرفة الطبيب لموقفه من القضيّة له تأثير في موقفه العلاجيّ، فلكيْ يتأكّد من أنّ الحالة هي وسواس قهريّ لا بُدّ من إجراء سلسلة من الفحوصات الطبيّة والنفسيّة، الفحص الجسديّ، الفحص المخبريّ، التقييم النفسي.

فيرى كفوري: «أنّه غالبًا ما تكون التوعية والعلاج النفسيّ هما الحلّ الأنسب للتمكّن من تحرير الشخصيّة من نمطها السلوكيّ الوسواسيّ وخاصةً إذا كان المريض واعيًا لجميع العوارض».

وعن طُرق العلاج يشرح أنّ «هنالك نوعان أساسيّان متبعان في علاج الوسواس القهري، وهما:

- العلاج النفسيّ
-العلاج الدوائي

يختلف العلاج الأفضل والأنجع لاضطراب الوسواس القهري تبعًا للمريض نفسه؛ وضعه الشخصيّ وتفضيلاته، وغالبًا ما يكون الدمج بين العلاج النفسيّ والعلاج الدوائي ناجعًا جدًا.

في العلاج النفسي لاضطراب الوسواس القهري تبين أنّ الطريقة العلاجيّة المسمّاة «المعالجة المعرفية» الإدراكيّة السلوكية، هي الأكثر نجاعةً في معالجة هذا الاضطراب كما أنّه ثمّة أدويّة معيّنة لمعالجة الأمراض النفسيّة يمكن أن تُساعد في السيطرة على الوسواس والسلوكيات القهريّة التي تُميّز اضطراب الوسواس القهريّ»،

لا يجب معاملة المريض على أساس أنّه المرض

يؤدي المُحيط) الأهل، العائلة، الأصدقاء (..دورًا هامًا في تجسين أو تثبيط حالة المريض، كونهم شهودًا على سلوكه الاضطرابيّ المُتكرّر، من هُنا فإنّ طلب الأهل من المريض بالوسواس القهريّ الكفّ عن أفعاله القهرية أو التحكّم بأفكاره التسلطيّة هو أمرٌ لا ينفع بل يُعزّز الحالة المرضيّة، ويؤدي إلى تعزيز الألم في نفس المريض. وكذلك الاستسلام والاستجابة لسلوك الأبناء من خلال تركهم يفعلون ما يريحهم أو حتى يُشاركونهم في إتمام طقوسه القهريّة لا يحلّ مشكلة. ومن هُنا ينصح الأستاذ كفوري أنّه:

«إذا كان لدينا صديق أو قريب أو فرد من عائلتنا مُصاب بهذا الاضطراب، يجب علينا التعرّف على هذا المرض وطُرق علاجه، والتأكّد من أنّ المريض يعرف أيضًا هذه الأمور، يُضيف: تذكّر أنّ من يتحدث ويفكر هو المرض وليس المريض ولا يجب أبدًا معاملة المريض على أساس أنّه المرض، خاصةً إذا شعر المريض أنّ في محاولتنا للمساعدة نوع من التدخّل غير المرغوب فيه، فلا بُدّ من أن نكون متفهمين وصبورين على المريض؛ لأنّها طريقة جيّدة وتُساعده في التخلص من أعراض المرض. لا يجب التوقّع من المريض أن يُنجز الكثير، ويجب أن نحاول توجيهه للأمور الإيجابيّة في حياته، وأن نتذكر دائمًا أنّ المريض يكره مرضه أكثر منّا، لذلك لا يجب أن ندفعه بشدّة للتخلّص من مرضه».!

في الختام: المطلوب إعانة المريض على مرضه دون تجريح أو سخرية، وطمأنته على أن استسلامه للفعل القهريّ لابأس به ومساعدته على العلاج بالالتزام والتعاون مع الطبيب المعالج، وطلب الوساطة عند الحاجة. وفي العلاج الدوائي يجب المواظبة على تناول العقار حتّى بعد حدوث التحسُن، فتركه قبل المدّة التي يحدّدها الطبيب قد يؤدي إلى عودة المرض. ■

ترامب بين سندان الكونغرس ومطرقة الدستور

عزلان متتاليان للمرة الاولى في تاريخ الولايات المتحدة الاميركية

واشنطن: جاد الحاج

الاتهام والإقالة بحق كبار السياسيين من الأمور النادرة جداً في الولايات المتحدة الأميركية. فعلى مدى ما يقرب من 250 عاما، لم تحصل إطاحة أي من الرؤساء الثلاثة الذين وجهت إليهم اتهامات سلوكية أو سياسية، وقد خضعوا للمحاكمة، وهم بيل كلينتون وأندرو جونسون ودونالد ترامب. مع ذلك، بعد اتهام كل من كلينتون وجونسون، خسر حزباهما الانتخابات الرئاسية التالية. عملياً، لا بد للرئيس، أو أي من المسؤولين الحكوميين الفدراليين، أن يكون قد ارتكب أحد الانتهاكات التي يصنفها الدستور على انها «خيانة أو رشوة أو غيرها من الجرائم والارتكابات الكبرى». لكن الاتهام وحده ليس الخطوة الفريدة لإزاحة الرئيس عن منصبه، بل هي الجزء الأول من عملية مزدوجة المسار. فلكي يتم اتهام أحد المسؤولين وعزله أو إقالته، ينبغي لمجلس النواب أن يقر بنود الاتهام والمواد التي تتهم الرئيس رسميا بإساءة التصرف والتدبير. عندئذ، بمجرد أن يصوت مجلس النواب على الاتهام والعزل، يفترض بمجلس الشيوخ أن يجري المحاكمة ليقرر ما إذا كان يجب عزل الرئيس من منصبه او لا.

هيأت الأجواء والأحداث التي أعقبت الحرب الأهلية الأميركية مناخاً يسمح بتوجيه الاتهام لمحاكمة الرئيس الأميركي للمرة الأولى في تاريخ البلاد .فبعد وفاة الرئيس ابراهام لنكولن، خلفه نائبه أندرو جونسون .وكان جونسون ديمقراطيا مؤيدا للاتحاد الفدرالي، وقد رفض أن ينفصل مع ولايته تينيسي، عن الدولة الاتحادية خلال الحرب الأهلية. إلا أنه كان من المؤمنين بتفوق العرق الأبيض، ويميل إلى اعتماد مقاربة غير متشددة إلى عملية الإعمار وإعادة البناء، أي عملية استعادة الولايات شبه المتحدة وشبه المنفصلة حين مارس حق النقد على قوانين ومشاريع اعتبرها قاسية ضد الجنوب، بما في ذلك قوانين مكتب فريدمان، التي خولت أبناء الجنوب المهجرين والنازحين، بمن فيهم الأميركيين ذوي الأصول الأفريقية حق الحصول على الطعام والمأوى والمعونة الطبية والأراضي للتملك أو الزراعة .أوجدت هذه المقاربة نوعا من عداوة بين جونسون والكونغرس. أما القشة التي قصمت ظهر البعير، فكانت استبداله وزير الحرب (الدفاع) إدوين ستانتون الذي كان قد عينه الرئيس لنكولن .

يومها أعد الكونغرس11 مادة اتهامية تدّعي أن جونسون انتهك قانون العهدة التي تحد من سلطة الرئيس وصلاحياته في عزل المسؤولين الفدراليين المعينين من مناصبهم، كونه عيّن وزيراً مكان آخر من دون استشارة مجلس الشيوخ. لكن الاتهام وحده ليس الخطوة الفريدة لإزاحة الرئيس عن منصبه، بل هي الجزء الأول من عملية مزدوجة المسار.فمن اجل اتهام أحد المسؤولين وعزله أو إقالته، ينبغي لمجلس النواب أن يقر بنود الاتهام ومواده، التي تتهم الرئيس رسميا بإساءة التصرف والتدبير. عندئذ، بمجرد أن يصوت مجلس النواب على الاتهام والعزل، يفترض بمجلس الشيوخ أن يجري المحاكمة ليقرر ما إذا كان يجب عزل الرئيس من منصبه او لا.

هيأت الأجواء والأحداث التي أعقبت الحرب الأهلية الأميركية مناخاً يسمح بتوجيه الاتهام لمحاكمة الرئيس الأميركي للمرة الأولى في تاريخ البلاد .فبعد وفاة الرئيس ابراهام لنكولن، خلفه نائبه أندرو جونسون .وكان جونسون ديمقراطيا مؤيدا للاتحاد الفدرالي، وقد رفض أن ينفصل مع ولايته تينيسي، عن الدولة الاتحادية خلال الحرب الأهلية. إلا أنه كان من المؤمنين بتفوق العرق الأبيض، ويميل إلى اعتماد مقاربة غير متشددة إلى عملية الإعمار وإعادة البناء، أي عملية استعادة الولايات شبه المتحدة وشبه المنفصلة حين مارس حق النقد على قوانين ومشاريع اعتبرها قاسية ضد الجنوب، بما في ذلك قوانين مكتب فريدمان، التي خولت أبناء الجنوب المهجرين والنازحين، بمن فيهم الأميركيين ذوي الأصول الأفريقية حق الحصول على الطعام والمأوى والمعونة الطبية والأراضي للتملك أو الزراعة .أوجدت هذه المقاربة نوعا من عداوة بين جونسون والكونغرس. أما القشة التي قصمت ظهر البعير، فكانت استبداله وزير الحرب (الدفاع) إدوين ستانتون الذي كان قد عينه الرئيس لنكولن .

يومها أعد الكونغرس11 مادة اتهامية تدّعي أن جونسون انتهك قانون العهدة التي تحد من سلطة الرئيس وصلاحياته في عزل المسؤولين الفدراليين المعينين من مناصبهم، كونه عيّن وزيراً مكان آخر من دون استشارة مجلس الشيوخ.

تعرض جونسون للاتهام بأكثرية فائقة تعادل ثلثي مجلس النواب، وانتقلت القضية إلى مجلس الشيوخ لإجراء المحاكمة .وبعد انقضاء سنوات عدة، قضت المحكمة العليا بعدم دستورية هذا التدبير. فعندما تعرض جونسون للمحاكمة في مجلس الشيوخ، استطاع الرجل أن يحتفظ برئاسته بفضل تأييده من قبل شيخ واحد زيادة على معارضيه، وذلك نتيجة اتخاذ سبعة شيوخ جمهوريين قرار التصويت مع الديمقراطيين تأييدا لاستمراره في منصبه. وكان محامي الدفاع عن جونسون قد احتج بالقول أن الرئيس لم يكن هو من عين ستانتون في المقام الأول، الأمر الذي يعني أنه لم يكن قد انتهك قانون العهدة الرئاسية.

كذلك يجادل المؤرخ هانس تريفوز بأن الشيوخ الذين صوتوا ضد العزل قرروا أن محاولة العزل قائمة بالدرجة الأولى على اهداف محض سياسية. وكان ضعف الدعوى القانوني قد أقنع الكثيرين بأن الاتهامات فعلاً سياسية بطبيعتها، وأن انتهاك قانون العهدة الرئاسية لم ـ ولا يشكل جريمة ولا انتهاكا للدستور، وإنما هو مجرد ذريعة يستغلها خصوم جونسون ومعارضوه. وقد أرست هذه النتيجة سابقة كبرى في عمليات توجيه الاتهام مستقبلا إلى الرؤساء .معنى ذلك أن الرؤساء يجب ألا يتهموا ويحاكموا ويتعرضوا للعزل لأسباب سياسية، ولكن فقط في حال ارتكابهم فعل «الخيانة او الرشوى أو جريمة كبرى أو انتهاكا خطيرا»، وفق ما ينص الدستور.

عن ذلك، قال الشيخ الجمهوري جايمس غرايم، وهو من المنشقين عن صفوف حزبه معلقا وشارحا: «لا يمكنني الموافقة على تدمير عمل الدستور المتناغم من أجل التخلص فقط من رئيس غير مقبول».

على غرار الرئيس أندرو جونسون، أثار الرئيس كلينتون مقدارا هائلا من السخط في أوساط مجلسي النواب والشيوخ بعدما افتضحت علاقته المشبوهة مع المتدربة في البيت الأبيض مونيكا لوينسكي، وذلك في كانون الثاني (يناير) 1998، في البداية أنكر كلينتون بعناد وأصرار أمام المحققين الفدراليين وجمهور العامة «إقامته أي علاقة جنسية مع الفتاة». وقد زعمت مواد الاتهام أن كلينتون كذب على المحققين بشأن العلاقة التي أقامها مع لوينسكي .كذلك ادعوا أنه أعاق العدالة وعرقل مسارها بفعل تشجيعه موظفي البيت الأبيض على إنكار وجود تلك العلاقة. لكن، لماذا لم يصر إلى عزل كلينتون من منصبه؟

لقد أعادت حصيلة محاكمة كلينتون تأكيد السابقة التي تشدد على أن من الواجب محاكمة الرؤساء وعزلهم من مناصبهم فقط في ظروف واضحة ومحددة دستورياً. وفيما وافق الكثير من أعضاء مجلس الشيوخ على سوء سلوك الرئيس كلينتون وتصرفه، فإن رأيهم استقر في نهاية المطاف على أن تصرّف كلينتون لم يكن على مستوى «الجرائم والارتكابات الكبرى والخطيرة».

ويقول أستاذ القانون الدستوري في جامعة كارولينا الشمالية، البروفسور مايكل غيرهارد: «وجد الكثير من هؤلاء الأشخاص في ذلك إساءة تصرف وتعامل، ولكنه لم يكن كافيا لاتهام الرئيس وعزله أو إقالته». أما العضو الجمهوري في مجلس الشيوخ، سوزان كولنز، التي صوتت ضد الاتهام والإدانة، فأوضحت في بيان أصدرته أنها لا تعتقد أن كلينتون ارتكب جريمة، ولكنه في الواقع أساء السلوك والتصرف. واستطردت مؤكدة: «عند التصويت لتبرئة الرئيس، أفعل ذلك مع شكوك هامة وجدية لأنني لا أقصد أبدا إعفاء هذا الرجل وتبييض صفحته». من جهتهم، يؤكد الخبراء أن الجهد الرامي إلى إقالة كلينتون كان محكوما بالخيبة وعدم الإفلاح، وذلك لأن الرأي العام انقلب ضد خلع كلينتون من منصبه .والحقيقة أن نسبة الرضى عن أداء الرجل لمهامه ووظيفته خلال أسبوع المحاكمة، بحسب استطلاعات مؤسسة غالوب، فاقت كل التوقعات في ايجابيتها وضد محاكمته!

في 18 (كانون الأول) ديسمبر 2019 انشغلت الإدارة الأميركية بشأن تهمتين هما :إساءة استعمال السلطة وعرقلة عمل الكونغرس.وترجع التهمتان إلى مكالمة هاتفية جرت بين الرئيس ترامب في 25 تموز (يوليو) 2019 والرئيس الأوكراني فلادمير زيلنسكي. وقد استرعى مضمون المكالمة انتباه العامة وأثار غضباً شعبياً ما ادى الى إطلاق التحقيق في نشاط واحدة من شركات الطاقة، حيث يندرج في عضوية مجلس إدارتها ابن منافس ترامب، جو بايدن .في ذلك الوقت قررت إدارة ترامب حجب المعونة العسكرية عن أوكرانيا، التي كانت تهيء لقاء قمة بين زيلنسكي وترامب.وكانت شهادات الموظفين الحاليين والسابقين في الإدارة الأميركية، التي أدلوا بها في خريف العام 2019 ، قد أنتجت رواية تتناول قيام بعض المسؤولين المتصلين بإدارة ترامب ـ بمن فيهم محاميه الشخصي رودي جولياني وسفير واشنطن لدى الاتحاد الأوروبي غوردون ساوندلاند ـ بدفع السلطات الأوكرانية الى القيام بعملية التحقيق هذه، علاوة على التصدي للنظرية الجوفاء التي تزعم أن أوكرانيا قد تدخلت في انتخابات 2016.

من جهتها، تقول اللجنة القضائية في مجلس النواب التي يقودها الديمقراطيون في تلخيصها الدعوى ضد الرئيس «إن ترامب خان الأمة عبر إساءة استعماله منصبه الرفيع لتجنيد قوة أجنبية في سبيل إفساد العملية الانتخابية الديمقراطية»، وحاول التدخل في سلطة الكونغرس المحمية دستوريا والتي تسمح له باتهام الرئيس وإدانته وإقالته. ويجادل المشرعون أيضا بأن سوء تصرف ترامب وتدبيره استمر طوال فترة التحقيق في الاتهام. كما يزعمون أنه حاول أن يتدخل في التحقيق عبر إصدار الأوامر للمسؤولين التنفيذيين بالانصياع للمستندات ولمذكرات الكونغرس القضائية والتقيد بها .وفقا لبنود الاتهام التي أقرها الكونغرس، تقع هذه التهم تحت بند «الجرائم والارتكابات الكبرى والخطيرة»لكن، لماذا لم تتم إزاحة ترامب من منصبه آنذاك؟

في الخامس من شباط (فبراير) 2020 أصبح ترامب ثالث رئيس في تاريخ الولايات المتحدة يوجه إليه مجلس النواب اتهاما يجعله عرضة للمحاكمة واحتمال العزل. غير أن مجلس الشيوخ برأه بعد ذلك. وقد أتت تبرئته وفقا للتصويت في مجلس الشيوخ حسب توزع المقاعد بين الحزبين الجمهوري والديمقراطي، الأمر الذي عزز الانقسامات التي تثبتت بتأثير عملية النزاع الحزبي. فمجلس الشيوخ صوت بأكثرية 52 في مقابل 48 لتبرئة ترامب من تهمة سوء استعمال السلطة والنفوذ، وبأكثرية 53 في مقابل 47 لتبرئته من تهمة عرقلة عمل السلطة التشريعية. وكان الشيخ الجمهوري عن ولاية أوتاه، والمرشح الرئاسي لمرات عدة، ميت رومني هو الشيخ الوحيد الذي انشق عن صفوف حزبه بل والحزبين، إذ صوت لمصلحة إدانة ترامب بتهمة إساءة استغلال السلطة واستعمالها.وكان الكثير من الشيوخ الجمهوريين، الذين صوتوا لمصلحة تبرئة ترامب قد أعلنوا أن لا مفر من ترك الحكم النهائي في الاقتراع الرئاسي خلال الأسبوع الأول من تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي.

وعلى مدى الأشهر التسعة التالية ظل السؤال مفتوحا بشأن ما إذا كان تدبير الإدانة قد ألحق الأذى أو وفر المساعدة للرئيس ترامب على الصعيد الشعبي والانتخابي. على أن ترامب وبعض مساعديه رددوا طوال الفترة السابقة للانتخابات الرئاسية بأن توجيه الاتهام والمحاكمة من الأمور المحتمل أن تعود عليه بالفائدة سياسيا عبر حشد مؤيديه وتعبئتهم .في المقابل، كان بعضهم قد جادلوا بأن الإجراءات سوف تسهم في تعزيز هالة الفوضى التي تكتنف إدارة ترامب. وكان استراتيجيي من العاملين سابقا مع حملة آل غور الانتخابية قد أبلغ صحيفة «لوس آنجلس تايم» باعتقاده: «انه على الرغم من ظن بعضهم أن محاكمة بيل كلينتون قد ساعدت الديمقراطيين، فإنها في الواقع عززت حظوظ الجمهوريين .مما سمح لجورج بوش الابن بإطلاق الوعد بأنه سوف يعيد للبيت الأبيض شرفه وكرامته. وهذا ما أفاده وعاد بالنفع عليه».

لقد واجه رؤساء آخرون التهديد بالتعرض للاتهام والإقالة. وأمام خضوع ثلاثة رؤساء فقط للاتهام والمحاكمة والتهديد بالإقالة، فإن من البديهي أن يكون عدد أكبر قد واجه دعوات في صفوف النواب والشيوخ لاتهامهم وإقالتهم أكثر مما قد يتوقع أحد. أما الرئيس الأول الذي تحرك مجلس النواب ليوجه إليه اتهاما ويطالب بمحاكمته، فكان جون تايلر. بعد أن خلف الرئيس وليم هنري هاريسون، الذي توفي بعد شهر واحد فقط على توليه منصبه الرئاسي، مارس تايلر حق النقد ضد تشريع كان حزبه اليميني قد عمل على سنه وكان هاريسون قد وعد بالمصادقة عليه. طرد اليمينيون تايلر من حزبهم، وتلقى مجلس النواب عريضة تطالب باتخاذ قرار يطالبه بالاستقالة وإلا تعرض للاتهام والإقالة. مع ذلك، لم يعمد مجلس النواب إلى التزام نهج الاتهام والعزل.

أما الرئيس المشهور أنه شارف على حافة الإقالة، ولكنه في الحقيقة لم يتعرض للإدانة والإقالة، فهو ريتشارد نيكسون. فخلال تتبع تسلسل حوادث فضيحة واترغايت، أعدت اللجنة القضائية في مجلس النواب ثلاثة بنود من قرار الاتهام والعزل بحق الرئيس لارتكابه «جرائم كبيرة خطيرة». إلا أن نكسون قدم استقالته من منصبه يوم 9 آب (أغسطس) 1974 قبل أن يتمكن النواب من توجيه الاتهام والتهديد با قالته.

في التاريخ الأميركي المعاصر، واجه الرؤساء من هربرت هوفر إلى باراك أوباما مناقشات راوحت بين المعقولية والصدقية إلى المطعون بصحتها والمشكوك في صوابها والمشحونة أو المعبأة سياسيا، وقد تناولت اتهامهم والتهديد بإقالتهم .وفي لحظات التمتع بذروة التأييد الشعبي، يجدر بالرؤساء أن يعرفوا في أعماق فكرهم وقلبهم أنه على الرغم من ندرة حالات الاتهام والعزل، فإنها تظل احتمالا قائما وفقا لما أراده صائغو الدستور.

لكن، ومع بدء جلسات المحاسبة المتوقعة لاحظ المراقبون تغيراً جذرياً في مواقف الجمهوريين الذين انحازوا الى المعسكر الديمقراطي خلال مرحلة تنفيذ العزل، وذلك بالدرجة الأولى خوفاً على مردود الإنتخابات المقبلة خصوصاً مع وجود السواد الأعظم من ناخبيهم في الولايات التي استجابت الى نداءات ترامب التي اسفرت عن اقتحام الكونغرس وسقوط خمسة قتلى وعدد كبير من الجرحى، ناهيك عن الحاق الإهانة المعنوية الوقحة بهيبة الكابيتول وتاريخه العريق.

من هنا لا يتوقع المرافبون ان تؤول جلسات المحاسبة الى ابعد من العزل الإداري المزدوج الذي تحقق حتى كتابة هذة السطور .مع ذلك ليس في امكاننا استبعاد المفاجآت اذا طال النقاش وتشعب واثار المزيد من التحركات الشعبية المختلفة. ■

دونالد ترامب

بيل كلينتون

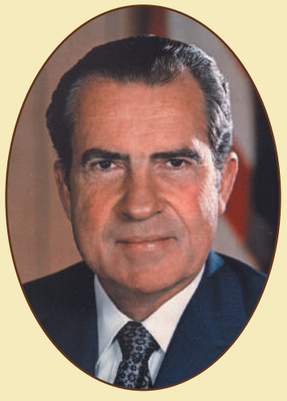

ريتشارد نيكسون

جيل دعدع

لندن: سهير آل ابراهيم

عبارة كنت اسمعها من جدتي حيث كانت تقولها للتعبير عن عدم رضاها او ربما استيائها احيانا من الأجيال الأصغر سنا بينما كانت تراقبهم و هي ترتقي درجاتها الاخيرة على سلم الحياة في طريقها نحو الأبدية.

كانت تقول أنها حكايات القدماء وحكم اورثوها إيانا ونبوآتهم حول ما سوف يحصل آخر الزمان، أن جيلا سيظهر، أطلقوا عليه اسم جيل دعدع يتميز ابناؤه بالفوضى والخروج عن كل ما هو متعارف عليه من قيم وضوابط اجتماعية. جيل تحكمه المشاكسة والعناد، ويوجه سلوكه الميل الى المخالفة؛ يذهب يسارا ان طلبت منه ان يتوجه يمينا، تناديه فلا يسمع او الاصح يتظاهر بعدم السمع.. ترسله لاداء مهمة ما فيذهب و لا يرجع.. يأكل ولا يشبع والى آخره من العبارات القصيرة التي تختم غالبها بكلمات تنتهي بحرف العين تماشيا مع اللقب الذي اطلق على ذلك الجيل المستقبلي الغريب؛ آخر جيل في هذه الحياة قبل افولها.

بدلا من ان يكون ختّامه مسك، تنبأ الاقدمون فوضى عارمة تجتاح عالمنا لا ينفع معها سوى الفناء؛ ذلك الفناء الذي سوف تجلبه أفعال جيل دعدع ، هذا ما كانت ترويه لنا جدتي! ورغم اني كنت اتلهف لسماع حكاياتها الجميلة المسلية لكني كنت استغرب قسوة القدر الذي يقرر محونا من الوجود، بل محو الوجود بأكمله بسبب طفل لم يطع امه او لم ينفذ كلامها بحذافيره!

تتعاقب الاجيال كسلسلة متواصلة ترتبط حلقاتها ببعضها البعض، لكن تظهر احيانا فجوات تفصل جيلا عن آخر، فجوات تخلقها اسباب مختلفة، كالتطور العلمي مثلا ما يتبع ذلك من تغيير وتطور في مجالات الحياة اليومية، فربما اوجد اختراع الكهرباء فجوة بين الاجيال التي انارت الشموع عتمة لياليها و بين اجيال لاحقة تضاءل لديهم اختلاف الليل عن النهار بفعل الاضواء الكهربائية الساطعة .كانت جدتي رحمها الله تضبط وضع الوشاح على رأسها كلما ظهر مذيع الاخبار في التلفزيون، لانها كانت تراه رجلا غريبا يظهر فجأة عبر تلك النافذة فيصبح معنا في الغرفة ولا ينبغي لها ان تظهر امامه عارية الرأس، كنّا صغارا نضحك كثيرا لرد فعلها ذاك وكانت رحمها الله تَرد على ضحكاتنا بعبارتها الاثيرة (جيل دعدع). تلك كانت فجوة بين جيلي وجيل جدتي وجدت بفعل التطور العلمي، ويبدو ان ذلك الاختلاف كان كبيرا بالنسبة لجدتي بحيث كانت ترى فينا جيل فناء ونهاية العالم.

أتأمل احيانا الاختلافات بين الاجيال الموجودة في عالمنا اليوم واتساءل ان كان جيل دعدع موجود بيننا، وهل سيجلب الجيل الاصغر المختلف جدا عما سبقه من الاجيال الفناء لعالمنا، ان صحت النبوءة القديمة، ام ان ذلك الاختلاف سوف يساهم بتعزيز تطور العالم وازدهاره؟ احتاج احيانا الى استشارة ابنتي المختصة بعلم الحاسوب وكتابة لغته المدهشة، اسألها في ما يستعصي علي في استخدام هذا الصندوق ضئيل الحجم والذي يضع العالم بماضيه وحاضره بين ايدينا، فتجيبني غالبا بعبارات بسيطة بالنسبة لها مبهمة بالنسبة لي انا المهندسة الشغوفة بالعلم، فاشعر حينها بحجم الفجوة التي اوجدها التطور العلمي المتسارع، بيني، حيث بدأت في زماني باستخدام الحاسوب والاعتماد عليه بعد التخرج من الجامعة وبين ابنتي التي كانت تستخدمه منذ مرحلة الدراسة الابتدائية مثلما كانت تستخدم القلم والممحاة!

الاختلافات بين الاجيال موجودة دائما حتى من حيث الملبس والمظهر، «وكل حزب بما لديهم فرحون»! قد يضحك الاصغر سنا على موضة سادت قبل عقود، في نفس الوقت الذي يستهجن فيه من عاصر تلك الموضة وارتدى ما يتوافق معها مظهر اولئك الاصغر سنا. اضحكني قبل فترة مقطع فيديو يصور جدة تُجلس حفيدها بجوارها عنوة وترتق بالابرة والخيط شقوقا في سرواله هي في الواقع شقوق الموضة الحديثة! حتما يصعب على تلك الجدة استيعاب ان البعض يرى ذلك السروال المهترىء جميلا وانيقا وجذابا وان حفيدها قد انفق على شرائه ربما اكثر من ثمن شراء سروال غير ممزق. تلك فجوة اخرى اوجدها تغير الموضة عبر الازمان.

نلاحظ ان الموضة تخلق تشابها في مظاهر افراد الجيل الواحد او الاجيال المتقاربة من بعضها زمنيا، فنلاحظ ازياء الاشخاص في الصور الفوتوغرافية تتشابه تقريبا لكل فترة زمنية بحيث يمكننا من طراز الملابس والاحذية وتسريحات الشعر معرفة الزمن الذي التقطت فيه تلك الصور. بنظرة سريعة نستطيع معرفة الصورة ان كانت من زمن الخمسينات او الثمانينات او ما قبلهما او ما بعدهما. ولكن يبدو لي ان الفجوة الموجودة حاليا بين المظهر العام للبعض وبين من سبقهم هي الاكبر على الاطلاق، بالنسبة لي على الاقل.

صادفت قبل فترة مجموعة من النساء العربيات في مكان عام، كنّا جميعا نرتدي الكمامة التي فرضت ولا تزال تفرض علينا ارتداءها ظروف الجائحة الحالية. لم ار من وجوه اولئك النسوة سوى العيون وازواجا من الحواجب بدت متشابهة الى حد غريب. ذكرني ذلك المشهد بما اشاهده احيانا من برامج حول صناعة وتعليب بعض الاغذية مثلا وكيف ان العلب تمر في مرحلة ما تحت جهاز يلصق عليها بطاقات تحمل اسم وتفاصيل محتواها، تخيلت وجوه تلك النسوة وقد مرت تحت جهاز ختم على كل منها نفس رسم الحاجبين! ليست الحواجب فقط وانما اصبح تشابه انوف ووجنات واذقان البعض يدفع الى التساؤل ان كانت وجوه حامليها قد مرت تحت مشرط نفس الجراح! هل هذا ما يطمح اليه الانسان اليوم؛ ان يصبح نسخة مكررة يشبه الكثيرين غيره، لا يميزه عنهم سوى ما لا يستطيع الجراح تغييره؟

اعود الى التساؤل عن وجود جيل دعدع في زماننا هذا، او بمعنى ادق ما تحمله تلك العبارة مما يرمز الى حجم الاختلاف بين رغبات وتوجهات الاجيال المختلفة.

تحب المرأة عموما ان تبدو حلوة، ولاشباع تلك الرغبة نجد الاسواق تغرق بمستحضرات التجميل و العناية بالبشرة و الشعر وربما غير ذلك مما لا علم لي به، وهذا برأيي امر جميل ضمن حدود أقول معقولة بالنسبة لي كي اتجنب التعميم وصيغة فرض الرأي. امر جميل طالما لا يسبب اية اضرار مثل تلك التي تحدثها احيانا المبالغة في التماس كمال الشكل، ان كان لذلك الكمال تعريف محدد. سمعت وقرأت وشاهدت برامج تلفزيونية عن عمليات تجميل فاشلة ادت في اقصى حالاتها الى وفاة من كانت تأمل ان تستفيق بعد العملية الجراحية وهي اجمل، او ان تختصر تلك العملية سنوات من عمرها فتجعلها تبدو اكثر شبابا ونضارة، فاذا بتلك العملية تختصر عمرها القادم كله! البعض الاخر تركوا للتعايش مع تشوهات لا سبيل لاصلاحها.

ليس من الانصاف ان نعمم صفات معينة على اجيال بأكملها و لكن يبدو لي ان الفناء الذي تنبأ القدماء انه سيقع بسبب افعال جيل بعينه ما هو الا فناء فردي يجلبه بعض الافراد لانفسهم و يدفعون في سبيله مبالغا قد تكون طائلة احيانا.

رحم الله المتنبي اذ قال (حسن الحضارة مجلوبٌ بتطرية)...، لا ادري ماذا سيقول ذلك الشاعر لو عاد الى زماننا هذا وقد تجاوزت متطلبات الحسن التطرية بمراحل كبيرة!. ■

الوطن السجين.. بين الممكن والإستحالة

د. نسيم الخوري*

هل يمكن لبلدٍ ديمقرطي في العالم أن يُحكم بلا دستور؟

-1- مستحيل إلاّ في لبنان، لماذا؟ لأنّه، بالرغم من أنّ مدّة دورة البرلمان في هذا البلد هي 4 سنوات، ولأنّ المجلس النيابي الممثّل للشعب قد تمّ انتخابه عام 1972 مثلاً بـ99 نائباً، قبل إندلاع الحروب الداخلية والخارجيّة التي أرّقت الأمم ، قد مدّد لنفسه 8 مرّات خلال 20 سنة لتعذّر إجراء الانتخابات، بسبب الحروب التي لم نتمكّن من أن نجد لها هويّة نهائيّة بين أن تكون أهلية، مذهبية طائفية مستوردة إلخ. لنتذكّر، بأنّه لم يبق داخل هذا البرلمان سوى 65 نائباً بتاريخ 16 تموز 1992 عندما حلّ نفسه مكرهاً لإجراء انتخابات جديدة، مع أن ولايته كانت تنتهي عام 1994. والأكثر غرابةً في نسف الديمقراطيّة من جذورها أنّ هذا المجلس النيابي عيّن نواباً تعييناً في ال 1991 رافعاً عدده إلى 128.

-2- ممكن .برعايات إقليمية ودوليّة ووصاية سوريّة ضُبطت في خلالها الحياة السياسيّة بعدما تحوّل إتّفاق الطائف إلى دستورٍ جديد برزت بعده المرحلة «الذهبيّة» الإعمارية التي شغلها الرئيس رفيق الحريري معيداً رسم لبنان على رقعة الخارطة الإقليمية والدولية ومسخّراً إمكانياته وعلاقاته الدولية التي لا حدود لقوّتها ومراميها وطموحاتها في إنقاذ لبنان ، والتي أودت ربّما بحياته في قلب «بيروت المدينة العريقة للمستقبل» كما أحبّ تسميتها.

-3- مستحيل مجدّداً، حيث بدا دستور جمهوريّة الطائف فاقداً لمرجعياته واحترام نصوصه بوصفه «الكتاب الوطني» الذي أنقذ اللبنانيين من جروحهم المزمنة الطريّة في النفوس والعبثيّة بل المزاجيّة في الحكم. المعضلة الكبرى للجمهوريّة أنّها بقيت مسكونة بل محكومة بخليط من التقليديين الضعفاء الذين خرجوا من الحكم إلى الحرب مع أقوياء خرجوا من المتاريس إلى الحكم، وكان لا بدّ من حشر لبنان الرسمي بطائرة إلى الدوحة لعقد مؤتمر واتّفاق لم يغيّر كثيراً. وبقيت الطبقة القابضة تلعب فوق القبضة السورية، واستمرّ اللبنانيون يرسون في قبضات المجموعة ذاتها حتّى اليوم، إذ فشلت التسويات كلّها، ولم يتغيّر شيء في ذهنيّة تنازع الأفرقاء ووقعت البلاد في صراعات مذهبيّة وأمنيّة وأخلاقيّة وإقتصادية معيشية ومالية ونقدية وحتّى صحيّة مع وباء كوفيد -19 ، أين منها الحروب الدموية التي سبق لها وشغلت العرب والعالم في العقود المنصرمة .

أدمن هذا البرلمان اللبناني التمديد لنفسه، فنجده في الـ2009 يمدّد ولايته التي تنتهي في 31/5/2013 إلى 20/1/2014 بموافقة 98 من أصل 128 نائب، وعاد ومدّدها مجدّداً 4 سنوات بتاريخ 5/11/2014 إلى 20/5/2017، ليجدّد ولايته 11 شهراً حتّى 20/5/2018 بحجّة التحضير للإنتخابات التي لم تفرز جديداً، بل كرّست بشكل أشدّ صلابةً حفنةً من أولئك الخارجين من الحروب إلى التشبّث بالحكم عبر موظفيهم ومستشاريهم وأولادهم وأحفادهم وأقاربهم في تسابق طائفي نفعي موسوم بالبطش وحماية الطوائف والمذاهب والتحاصص والتقاسم وسلب كلّ حبّة تراب في لبنان تنبت جديداً. ضرب أسياد هذا المجلس المعمِّر المتحوّل بنوّابهم، الرقم القياسي في الحكم، أدعو لإدراجه في موسوعة غينيس: إنتخب 8 رؤساء جمهوريّة، ومنح الثقة لـ26 حكومة، ووافق على اتفاقيات متناقضة: الاتفاق الثلاثي واتفاق 17 أيار واتفاق الطائف. وأنجز 665 قانوناً 30% صادرة عنه و 70% مشاريع قوانين صادرة عن السلطة التنفيذية. هذا مؤشّر فاضح على عجز الحكومات مما اضطرّ مجلس النواب إلى سدّ الفراغ وتسيير دفة الحكم بسبب تجربته لوجود حكومتين في الحرب، أو لحكومات كان أعضاؤها متنافرين أو مقاطعين، وما زالوا!

إن أكثرية القوانين في بلاد العالم تأتي من الحكومة إلى المجلس النيابي ليدرسها ويقرّها كما هي أو يعدّلها لكنّ ما بقي من برلمانيينا آنذاك إطّلعوا على نصوص الطائف وتشظّوا حوله، وأعرضت عنه النخب والطوائف المترسّخة في حكم لبنان مما ضاعف في حدّة الفرقة والريبة الموروثة.

وإذا كان حكم الآباء لصالح الأبناء أو حكم القلّة للقلّة هو الشكل في الحكم المعروف: بـ«الأوليغارشية» والذي استغرق في تشريحه إفلاطون في جمهوريّته وأرسطو في سياسته، فإنّه ينطبق تاريخياً وحفراً وتنزيلاً على جمهورية لبنان بدستورها الأوّل في ال 1926 كما بدستور جمهورية الطائف، لا بل تنطبق أيضاً على دولة لبنان الكبير والمتصرّفيات في لبنان التي أسّست لهذه التركات المزمنة الثقيلة، والتي يمكن حصر مصالحها أو قواسمها المشتركة بمثلّث مقفل متساوي الأضلاع تتداخل فيه وتتخاصم وتتقاتل وتتصالح على الموروثات البائدة في كلّ الميادين الدينية والطائفية والمذهبية العائلية والوراثية والسياسية والمالية المصرفية لكنّها المرفوضة من شبابّات وشباب لبنان الثائرين والمتحرّكين المتظاهرين والعاجزين عن أيّ تغيير سوى الحلم بالقضاء المستقلّ.

إذا كان هذا اللبنان الرسمي المتناسل إقطاعياً، يدفع رواتب تقاعدية لهؤلاء البرلمانيين وعائلاتهم منذ الأزل، وكذلك للوزراء والمدراء وكبار الإداريين وجيوش الموظّفين المحظيين فقط لانتماءاتهم الحزبيّة الضيّقة، فإنّه يفرض الضرائب اليوم والحسومات على رواتب المتقاعدين ويشطب الحقوق بالطبابة في القطاع العام عارضاً، بعد كلّ ما حصل ويحصل على البساط أو السوق الدولي للبيع.

كيف؟

هناك طلب رسمي خطير يفاقم قلق اللبنانيين اليوم يعرض أصول الدولة وخصخصتها مقرونةً مع نشر مشروع الموازنة للعام2021 عبر وزارة المالية التي عمّمت بجدّية قصوى على جميع الإدارات الرسميّة والمؤسّسات العامّة والمشاريع المشتركة والشركات المختلطة تزويدها بالمعلومات التفصيلية التي تمتلكها عن موجودات الدولة العقارية وغير العقارية ضمن مهلة ستة أشهر، بالإضافة إلى وجهة استعمال هذه الممتلكات وشاغليها في حال وجدوا. «بالإضافة إلى عرض مؤسّسات الدولة الأساسيّة مثل طيران الشرق الأوسط وشركة كهرباء لبنان وكازينو لبنان والأملاك البحرية والمشاعات» وغيرها، التي هي ملك للبنانيين لبيعها للقطاع الخاص، خصوصاً وأنّ تلك المؤسسات منهارة كلياً وهو ما سيصبّ في جيوب أصحاب المصارف الموجودة أوالمنتظر استيرادها مستقبلاً بما يضاعف من ثرواتهم وكبار المسؤولين والمودعين على حساب صغار المودعين بل على حساب وطنٍ سجين في مثلّث السلطات السياسية والنقدية والمصرفية، يتطلّع عبر القفل إلى الخارج. ■

*كاتب لبناني وأستاذ مشرف في المعهد العالي للدكتوراه
drnassim@hotmail.com

داود صموئيل مَرْغُوليُوث ـ David Samuel Margoliouth (1858 -1940)

شخصية مَرْغُولِيُوث المميّزة في عالم الاستشراق

■■ هدف الاستشراق Orientalism هو دراسة حضارات الشرق المتعددة، وقد بدأ بالظهور في زمن الإمبراطورية اليونانية-الهلّنيّة والرومانية، واستمر خلال الفترة الصليبية؟ وبلغ أوجه مع الامبرطوريات الأوروبية الحديثة التي شجعت الاستشراق لدراسة الحضارات الفرعونية والبابلية والكنعانية والمسيحية الشرقية والإسلام، وغيرها من الحضارات القديمة. وبسبب الاستشراق نشأت المعاهد الاكاديمية الكبرى في المدن الأوروبية لاستكشاف ودراسة حضارات الشرق، خصوصًا في باريس ولندن وبرلين وروما ومدريد وأكسفورد وكمبردج والسوربون، الخ .وتخرج من هذه المراكز الشهيرة كبار العلماء في الحضارات الشرقية.

لا يمكننا حصر الاستشراق بحضارة واحدة او فكر واحد، بل هو متعدد الوجوه والهويات. وبالتالي، كتابات المستشرقين لا تُحصى، فالبعض منها اتّسم بالتعصب واستعلاء الغرب على الشرق، والبعض تميز بحب الشرق والتغنّي به، والبعض الآخر عمد الى تشويه صورة الشرق لغايات عنصرية وسياسية.. غاية هذه الدراسة القاء بعض الأضواء على كبار المستشرقين، الذين خدموا الفكر المشرقي بنشرهم التراث العربي في جامعات الغرب الشهيرة. كما تهدف هذه الدراسة الى ذكر الدور الكبير الذي لعبه الاستشراق بمد جسور الحوار والتفاعل الثقافي بين الشرق والغرب. ■■

المونسنيور
الدكتور
شفيق ابوزيد*

لا مغالاة في القول ان داود صموئيل مَرْغُولِيُوث كان في اثناء العقود الأولى من القرن العشرين، إمام المستشرقين لدى العام والخاص في الإمبراطورية البريطانية. فانه بفضل منشوراته العلمية، وعلومه الواسعة، وشخصيته البارزة، والمركز الذي شغله في الجمعية الاسيوية الإنكليزية The Royal Asiatic Society كان يُعدّ في عالم الاستشراق بأجمعه، ممثل الدروس الشرقية في بريطانيا العظمى. فضلاً عن ان مدة تدريسه تلك العلوم في جامعة أكسفورد الشهيرة قد طيّرت صيته في جميع الأوساط حتى الى اقاصي البلاد الإسلامية الشرقية، وأدخلت اسمه في عالم الأسطورة

أستاذ اللغة والآداب العربية في جامعة أكسفورد

وُلد مَرْغُولِيُوث سنة 1858 في إنكلترا، ودرس في جامعة أكسفورد الآداب القديمة، وتعلّم اللغة العربية، فظهرت براعته في لغة الضاد عندما نقّح ونشر الترجمة العربية لكتاب ارسطو في الشعر في سنة 1887 ، فعيّن في سنة 1889 استاذًا للغة العربية وآدابها في جامعة أكسفورد، وبدأ في سنة 1893 بنشر نُخبة من الأبحاث العلمية، أهمها الكتابات العربية الموجودة على أوراق البَردى في مكتبة جامعة أكسفورد (Bodleian Library) وفي سنة 1898 أهتم بترجمة رسائل ابي العلاء الى الإنكليزية، وبنقل قسم من تفسير القرآن للبيضاوي الى الإنكليزية في سنة 1894 ، فبرهن على تضلعه من اللغة العربية، وعلى براعة غير عادية في حلّ بعض ألغازها العويصة.

تزوج مَرْغُولِيُوث في سنة 1896 جِسي پاين سميث Jessie Payne Smith ابنة العالم الإنكليزي الشهير باللغة السريانية روبرت پاين سميث Robert Payne Smith ، فعاونها سنين طويلة على نشر كتاب والدها «الكنز السرياني» Thesaurus Syriacus الذي ظهر في سنة 1907 وفي سنة 1905 ظهر كتابه المعروف «محمد وضحى الإسلام» Mohammad and the Rise of Islam ونُشر في مجموعة «كبار الرجال وَابطال الأمم» Heroes of the Nations ، فلفت اليه أنظار العالم واشتهر به المؤلّف اختصاصيًا في الشؤون الإسلامية. وتلاه بعد ذلك سنة 1911 كتابه الآخر «المحمدية - الدين الإسلامي» Mohammedanism ، ثم سلسلة من المحاضرات القيّمة في موضوع اتساع الدين الإسلامي عند ظهوره The Early Development of Mohammedanism ، نُشرَت سنة 1914 مع عدد غير يسير من المقالات المختلفة في كثير من المجلات ودوائر المعارف (Encyclopaedia) ، وقد نالت هذه الكتب استحسانًا كبيرًا لدى الجمهور وحازت نجاحًا باهرًا، فكانت المثال الأعلى في بلاد الإنكليز لما يصحّ قوله في هذه المواضيع.

انتقادات لاذعة وغضب اسلامي

تعرّض مَرْغُولِيُوث الى انتقادات المستشرقين، رغم اعترافهم باقتدار المؤلف وعلمه وسعة اطلاعه في الشؤون الإسلامية، لا سيما في كتابه الثالث الذي جاء فيه بإيضاحات وحلول لمسائل كانت غامضة من قبله، إلا أنهم لم يرتاحوا لما كان يظهر في لهجته من الاستهزاء وقلة الاعتبار، مما أثار غضب القرّاء المسلمين في الغرب والشرق .وهذا الروح كان يدعو الى التحفظ أمام الآراء التي كان يُبديها، كلما كان الحكم منوطًا بشعور المؤلف وبنظريته الخاصة. وجاء في كتابه الأخير في السنة 1924 عن «العلاقات بين العرب وإسرائيل» Relations between Arabs and Israelites، فعرّضه للنقد نفسه مع ما جمع فيه من المعلومات الواسعة والوثائق المتينة رقم حجرية وتقاليد أدبية قديمة.

ورغم ان المنتقدين كانوا اقل منه علمًا ومكانًا، لم يلبث ان اثّر انتقادهم في وضعيته، فعدّل موقفه نوعًا ما بالتدريج، وكان هذا العدول بينًا في رجوعه عما كتبه في مقال نشره سنة 1925 في مجلة الجمعية الاسيوية Journal of Royal Asiatic Society جاء فيه ان لا صحة على الاطلاق للشعر الجاهلي .وقد كان التعجب عامًا من هذا الرأي، وان لم يعبّر المستشرق عنه دائمًا .واما نظريته في هذا الشأن فلم تكن راكزة على البراهين التي تقدمتها في المقال، ولكن على رأي خاص في النظم كان قد عرضه في كثير من مقالاته الأخرى .ومع انه لم يقرّ قط بأصلية الشعر الجاهلي أيًا كان، فإنه لم يبقَ على رأيه هذا بصورة جازمة، كما يتبيّن لنا ذلك من ملاحظة ابداها في مقال له في المجلة نفسها سنة 1927 يلطّف فيها موقفه السابق.

داود صموئيل مَرْغُولِيُوث

طه حسين وداود صموئيل مَرْغُولِيُوث

يقول الاديب والباحث فؤاد افرام البستاني في كتابه «الروائع»، ص 19-17 ، ان الاديب العربي طه حسين استقى من مقال مَرْغُولِيُوث عن الشعر الجاهلي نظريته المعروفة في كتابه «في الشعر الجاهلي». والحق يقال ان النظريَّين كليهما، المستشرق الإنكليزي وتلميذه المصري، مدينان فيما عرضاه في بحثيهما من نظرات معقولة لابن سلّام .

براعة مَرْغُولِيُوث في التعريب ومعرفته الكبيرة للآداب العربية

شعر مَرْغُولِيُوث بمواهبه الخاصة للاستشراق، وبنوع الأبحاث التي توافقه، أثناء جهوده في تعريب بعض النصوص العربية وضبطها بالنشر. من ذلك ان ذاكرته كانت عجيبة تحضّر له، دون عناء، المعلومات الواسعة التي جناها في مطالعاته السابقة. فكانت له بذلك معاونًا لأبحاثه ومنشوراته نادر المثال. واشتهر خاصة في هذا الحقل بنشره كتاب «معجم الادباء» لياقوت، الذي استغرق منه عشرين سنة، من 1907 الى 1927 ولكن نشره لكتاب الرسائل لأبي العلاء، وكتاب «نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة» للتنوخي سنة 1921 كان أدلّ لدى المستشرقين على علمه ومقدراته .اما براعته في الترجمة فكانت عظيمة تجمع بين دقة المعاني وسلاسة التعبير. تجلّى ذلك خصوصًا في ترجمته«كتاب الاخبار» لمسكويه سنة 1920 و«نشوار المحاضرة» للتنوخي، و«تلبيس ابليس» لابن الجوزي المنشور حديثًا في مجلة الثقافة الإسلامية (Islamic Culture)

خدماته الادبية للمؤسسات العلمية

اما خدماته لمجلة الجمعية الاسيوية الإنكليزية Society of the Royal Asiatic Journal فلا حاجة الى ذكرها. فالوسام الذهبي الذي أهدي له سنة 1938 جاء أوضح دليل على ذلك .كان اولًا تكريمًا لمهارته الجبارة في أبحاثه العلمية، ثم شكرًا لأتعابه المصروفة في خدمة الجمعية مدة عشرين سنة عضوًا في مجلسها ثم نائب رئيس، ورئيسًا .وكان مَرْغُولِيُوث عضوًا في الاكاديمية الإنكليزية، وعضوًا في جمعية المستشرقين الألمانية. وقد زار مرارًا الشرق الأدنى، فاستقبله هناك كبار المسلمين بالحفاوة الشرقية المعهودة، رغم اختلاف مذهبه عن مذاهبهم. وعندما أُسّس المجمع العلمي العربي في دمشق سنة1920 ، كان مَرْغُولِيُوث من أول أعضائه الأجانب .وقد دعته جامعة كالكوتا Calcutta في الهند سنة 1929 الى إلقاء محاضرات هناك. ■

*جامعة اوكسفورد

درس مَرْغُولِيُوث في جامعة أكسفورد، الآداب القديمة

العولمة والغذاء

لندن: د. إبراهيم الحريري

«الرأسمالية تمنحك حرية الكلام والفكر والدين، والشيوعية تعطيك الطعام واللباس والدواء»

غازي القصيبي

لطالما تأسست المدن والحضارات عند السهول والمناطق الخصيبة والتي تستطيع توفير الغذاء الجيد والكافي لاي دولة واعتبر التراب (الأرض) احد اضلاع الثالوث المقدس مع الانسان والزمن لتأسيس أي حضارة ونهضة إنسانية.

لذلك فقط رأينا حضارة بلاد الرافدين والنيل وسيحان وجيحان والصين والهند قد تأسست بمناطق المحاصيل والخيرات لان البشر يحتاجون للغذاء للاستمرار وقد كان البدو الرحل يجوبون الفيافي بحثاً عن مراعي لماشيتهم وغذاء لهم، ومع تطور الحضارات والمدنية لهذه الحضارات وتطور سلاسل الامداد والتموين نتجت شركات عملاقة عابرة للقارات تسيطر على الغذاء العالمي من ادناه الى أقصاه.

عندما نتحدث عن الغذاء لابد أن نشير الى برنامج الأغذية العالمي (WFP) المؤسس عام 1961 ليقدم الإعانات للشعوب الفقيرة والمنكوبة وتحت مظلة الأمم المتحدة وكان صاحب المبادرة الرئيس الأمريكي دوايت أيزنهاور وبشعار انقاذ الأرواح تغيير الحياة وكان اول تجربة له بتقديم المعونة لمتضرري زلزال إيران 1962 وتحصلت على جائزة نوبل للسلام عام 2000.

يمثل إنتاج الأغذية والمشروبات واحدة من أكبر الصناعات العالمية اليوم. ووفقاً لبحث عام 2018 من توقعات سوق ستاتيستا، من المتوقع أن تصل الإيرادات العالمية من صناعة الأغذية والمشروبات إلى ما يزيد قليلاً عن 90 مليار دولار أمريكي بحلول نهاية العام. ومع النمو السنوي المتوقع بنسبة 11.4 في المائة، من المتوقع أن يصل هذا العدد إلى ما يقرب من 139 مليار دولار أمريكي بحلول عام 2022.

وفي الآونة الأخيرة، واجهت هذه الصناعة المربحة بعض الرياح المعاكسة، كما يتضح من تباطؤ النمو في الأسواق الناشئة، وهبوط أسعار السلع الأساسية، والتحول في أفضليات المستهلكين نحو منتجات أكثر صحة. واحدة من أقوى الاتجاهات العالمية هو الابتعاد عن استخدام الألوان الاصطناعية والنكهات لصالح المكونات الطبيعية. وقد وصل هذا الاتجاه إلى النقطة التي أصبح فيها مفرقًا حقيقيًا للمستهلكين.

فيما يلي نستعرض أفضل عشر شركات للأغذية والمشروبات تتنافس على الهيمنة العالمية (جميع الأرقام لمبيعات المواد الغذائية عام 2017) وتحقق ايرادات تزيد عن 444 مليار دولار:

-10- دانون (Danone)

بلد المنشأ :إسبانيا
الإيرادات: 27.88 مليار دولار

تأسست دانون في عام 1919 في برشلونة ومقرها الآن في باريس، وهي لاعب دولي في صناعة الأغذية والمشروبات. اعتبارا من عام2017 ، حققت دانون 27.88 مليار دولار من الإيرادات في 120 سوقا. وربما اشتهرت الشركة بخط منتجات الألبان، وأبرزها علامتها التجارية Activia وتشمل العلامات التجارية الرئيسية الأخرى أكتيميل، والحيوانات، وYocrunch، فضلا عن المياه المعبأة في زجاجات مثل إيفيان، أكوا، فولفيتش، أتاميل وبادويت. ويأتي أكثر من نصف إجمالي إيراداتها من منتجات الألبان الخاصة بهم، في حين يأتي ما يقرب من 20 في المائة من خط المياه المعبأة في زجاجات.

في السنوات الأخيرة، كان دانون محور التحرك نحو استهلاك الأغذية النباتية كبديل اللحوم .في سبتمبر من عام2018، انضم دانون إلى شركة هاين السماوية وغيرها من شركات الأغذية النباتية لإنشاء الأغذية النباتية الكندية (PBFA). تهدف منظمة الضغط إلى تعزيز مصالح قطاع الأغذية النباتية في البلاد.

-9- كارجيل (Cargill)

بلد المنشأ :الولايات المتحدة
الإيرادات: 30.5 مليار دولار

كارجيل هي شركة عائلية متعددة الجنسيات تفتخر بقائمة طويلة بشكل مدهش من المنتجات والأنشطة بما في ذلك الأغذية والزراعة والمنتجات المالية والصناعية والخدمات .وتسيطر على الشركة التي يقع مقرها الرئيسي في مينيسوتا بالكامل أسرتا كارجيل وماكميلان، اللتين تمتلكان مجتمعة أكثر من 90 في المائة من الأعمال التجارية .مع أكثر من 150 عاما من الخبرة في الإنتاج الزراعي والتصدير وإنتاج اللحوم تحت حزامها، كارجيل هي الآن أكبر شركة خاصة في الولايات المتحدة، مع أكثر من150000 موظف تخدم العملاء في 70 بلدا.

على الرغم من أنه جعل إجمالي مبيعات 109 مليار دولار في عام 2017، بلغت الإيرادات من خدماتها المتعلقة بالغذاء 30.5 مليار دولار فقط 27.8 (في المائة من إجمالي المبيعات)، مما يكشف عن أن نسبة أكبر من إيراداتها جاءت من الأنشطة التجارية غير المتعلقة بالغذاء. ومع ذلك، تمكنت كارجيل من تصنيفها كتاسع أكبر شركة للأغذية والمشروبات في العالم.

-8- شركة آرتشر دانيلز ميدلاند (Archer Daniels Midland)

بلد المنشأ: الولايات المتحدة
الإيرادات: 34.2 مليار دولار

شركة أرتشر دانيلز ميدلاند (ADM) هي واحدة من أكبر شركات تجهيز الأغذية في العالم اليوم، حيث تخدم العملاء في 140 دولة .كما تضم شركة إلينوي 33,000 موظف يعملون في أكثر من 460 موقعًا لشراء المحاصيل و340 منشأة أخرى في جميع أنحاء العالم، حيث تقوم بتصنيع المكونات التي تستخدم في صنع الطعام والأعلاف الحيوانية والمنتجات الصناعية ومنتجات الطاقة.

وفي محاولة لتحسين العائدات، باعت شركة ADM مؤخراً أعمالها العالمية في مجال الكاكاو إلى شركة أولام إنترناشيونال بمبلغ 1.2 مليار دولار، حيث تأمل في تحسين الكفاءة التشغيلية والتركيز على دفع النمو في قطاعات منتجاتها الأكثر ربحية.

-7- مارز (Mars)

بلد المنشأ: الولايات المتحدة
الإيرادات: 35 مليار دولار

تأسست مارس منذ أكثر من قرن من الزمان، وهي شركة عالمية لتصنيع الأغذية تملكها عائلة مارس تأسست 1911. يقع مقر الشركة المملوكة للعائلة في ولاية فرجينيا، وقد تطورت لتصبح واحدة من أكبر شركات تجهيز الأغذية في العالم، حيث حققت 35 مليار دولار في عام 2017. مارس لديها مجموعة من المنتجات التي تمتد عبر بعض القطاعات المتنوعة بما في ذلك الشوكولاتة، ورعاية الحيوانات الأليفة، والغذاء، والمشروبات، والتكافل.

نتيجة للمنافسة المتزايدة من منتجات الحلويات الصحية، أكملت مارس مؤخرًا الاستحواذ على فرعها ريجلي من بيركشاير هاثاواي من الملياردير وارن بوفيت. ومن المتوقع أن تعزز هذه الخطوة هيمنة الشركة في سوق الحلويات العالمية، التي تسيطر عليها بنسبة 13.5 في المائة.

-6- شركة كوكا كولا (The Coca-Cola Company)

بلد المنشأ: الولايات المتحدة
الإيرادات: 35.4 :مليار دولار

تأسست كوكا كولا في عام 1886 من قبل الصيدلي جون بيمبرتون، ومنذ ذلك الحين تطورت لتصبح علامة تجارية عالمية مبدعة، يتم استهلاك مشروباتها 1.7 مليار مرة يوميًا في أكثر من 200 دولة .تعمل شركة أتلانتا تحت نموذج تجاري حيث تنتج فقط مركز شراب الكولا. يتم منح تعبئة وبيع وتوزيع المنتج النهائي امتيازات لتعبئة الشركات في جميع أنحاء العالم. وكجزء من خطتها للتركيز بشكل أكبر على إنتاجها المركز المربح، باعت كوكا كولا بعض عمليات التعبئة في الصين مقابل مليار دولار. وفي الولايات المتحدة، أعلنوا مؤخراً عن خطط لبناء مصنع جديد وحديث في هيوستن تبلغ مساحته مليون قدم مربع. ومن المقرر افتتاح المشروع الذي تبلغ قيمته 250 مليون دولار في عام 2020.

-5- تايسون للأغذية (Tyson Foods)

بلد المنشأ: الولايات المتحدة
الإيرادات: 38.26 مليار دولار

تايسون فودز هي أكبر منتج ومصدر للحوم البقر في الولايات المتحدة وواحدة من أكبر المنتجات في العالم. من 111 منشأة، 107 منها تقع في الولايات المتحدة، يتم توزيع منتجات تايسون، بما في ذلك الدجاج ولحم البقر ولحم الخنزير والأطعمة المصنعة، في 130 دولة. كما توظف الشركة التي تتخذ من أركنساس مقراً لها أكثر من 113000 شخص يعملون في مرافقها ومصانعها في جميع أنحاء العالم.

حصلت شركة تايسون فودز مؤخرًا على حصة 5 في المائة في شركة Beyond Meat وهي شركة متخصصة في إنتاج اللحوم النباتية، والتي يعتقد الخبراء أنها بديل أكثر صحة للحوم الحيوانات .ويتطلع تايسون إلى أن يكون رائداً في صناعة اللحوم الأميركية فيما يتعلق بهذا المنتج الجديد من اللحوم، والذي وصفه مؤسس مايكروسوفت بيل غيتس بأنه «مستقبل الغذاء».

-4- JBS

بلد المنشأ: البرازيل
الإيرادات: 46.2 مليار دولار

JBS هي أكبر شركة في العالم لمعالجة وتصدير اللحوم (لحوم البقر ولحم الخنزير والدجاج)، مع أكثر من 300 وحدة إنتاج في »

أكثر من 15 بلدا .يقع مقر شركة JBS في ساو باولو، وقد نمت من شركة محلية للحوم البقر إلى شركة عالمية رائدة في صناعة إنتاج اللحوم، حيث تخدم 350000 عميل في أكثر من 150 دولة. وقد شهدت الشركة نمواً هائلاً في السنوات الأخيرة، حيث نمت مبيعاتها بنسبة 35.2 في المائة سنوياً. والدافع إلى حد كبير النمو من قبل الولايات المتحدة، والتي تمثل 48 في المائة من إجمالي المبيعات.

وكان التوسع الذي قامت به الشركة في السوق الدولية مدفوعاً بعمليات الاستحواذ، بدءاً من شراء شركة سويفت آند كومباني التي تبلغ قيمتها 225 مليون دولار، وهي واحدة من أكبر شركات تجهيز لحوم البقر ولحم الخنزير في الولايات المتحدة .في السنوات الأخيرة، أنفقت الشركة أكثر من 5 مليارات دولار في الاستحواذ على شركات منافسة، بما في ذلك تايسون دي المكسيك، ومجموعة بريمو، وموي بارك، وبيغ فرانغو، وأنهامبي، وكارجيل لحم الخنزير.

-3- أنهيوزر - بوش إنبيف (Anheuser-Busch InBev)

بلد المنشأ: بلجيكا
الإيرادات: 56.44 مليار دولار

تم تشكيل Anheuser-Busch InBev في عام 2008 من خلال عملية دمج بين ثلاث شركات تخمير عملاقة Interbrew: ومقرها بلجيكا، و AmBev ومقرها البرازيل والشركة الأمريكية Anheuser-Busch وتعمل الشركة الآن خارج بلجيكا، ونمت منذ ذلك الحين لتصبح أكبر مصنع للجعة في العالم، حيث حققت أكثر من 200 علامة تجارية إيرادات إجمالية قدرها 56.44 مليار دولار وتشمل بعض المشروبات الشعبية Budweiser ، كورونا، ستيلا أرتوا، بيك، هوغاردين وليف، برعم لايت، سكول، براهما، والقارة القطبية الجنوبية، كما توظف أكثر من 155000 شخص في 25 دولة.

في عام 2016، استحوذت InBev على شركة ساب ميلر المنافسة للبيرة في عملية شراء ضخمة بقيمة 107 مليار دولار. وجمعت الصفقة بين أكبر مصنعي الجعة في العالم في شركة تسيطر الآن على حوالي نصف أرباح هذه الصناعة. كما وضعت الشركة البلجيكية نصب عينيها الحصول على كوكا كولا، وفقا للرئيس التنفيذي كارلوس بريتو.

-2- شركة بيبسي كولا (Pepsi Co. Inc)

بلد المنشأ: الولايات المتحدة
الإيرادات: 63.53 مليار دولار

مع مجموعة من 22 علامة تجارية مبدعة، بما في ذلك بيبسي، لايس، جاتوريد وتروبيكانا، بيبسيكو هي ثاني أكبر شركة للأغذية والمشروبات في العالم اليوم .يعود أصل الشركة إلى أواخر الثمانينيات عندما طور المؤسس كاليب برادهام وصفة كولا لمنافسة كوكا كولا. تم اعتماد اسم بيبسيكو، شركة في وقت لاحق في عام 1965 عندما اندمجت الشركة مع شركة الوجبات الخفيفة العملاقة فريتو لاي.

في الآونة الأخيرة، حولت الشركة تركيزها إلى تحسين القيمة الغذائية والصحية لمنتجاتها، حيث يبتعد المستهلكون عن الأطعمة غير المرغوب فيها التقليدية. وقد أعلنت الشركة علنا عن نيتها خفض محتوى السكر والدهون المشبعة في منتجاتها دون التضحية بالذوق .كما دخلت شركة بيبسي كولا في شراكة مع تحالف السل، وهو منظمة غير ربحية ملتزمة بالتقدم في علاج السل .وستشهد الشراكة نشر شركة بيبسي كولا خبرتها البحثية لتطوير نكهات وصفات فريدة من نوعها من شأنها تحييد الطعم غير السار لأدوية السل.

-1- نستله Nestl

بلد المنشأ: سويسرا
الإيرادات: 78.9 مليار دولار

نستله هي الشركة الرائدة عالمياً في صناعة الأغذية والمشروبات، حيث بلغت إيراداتها 78.9 مليار دولار في عام 2017 منذ بدايتها المتواضعة قبل 150 عامًا، تعمل المتعددة الجنسيات السويسرية الآن في 189 دولة وتضم 335000 موظف على مستوى العالم .مع أكثر من 2000 علامة تجارية في قطاعات مثل أغذية الأطفال والمياه المعبأة في زجاجات والحبوب والشوكولاتة والحلويات والقهوة والطهي والأغذية المبردة والمجمدة ومنتجات الألبان والمشروبات، وقد أثبتت نستله نفسها كاسم مألوف عالمي .وكان النمو في الآونة الأخيرة مدفوعاً بأعمال المشروبات مثل نسكافيه ونسبريسو، التي تمثل 21.68 في المائة من إيراداتها. وقد حولت الشركة تركيزها في السنوات الأخيرة إلى تحسين الاحتياجات الغذائية والصحية والعافية لعملائها .وفي هذا الصدد، دخلت نستله للعلوم الصحية مؤخراً في شراكة مع شركة Therapeutics Aimmune لاستثمار 145 مليون دولار من أجل تطوير حلول للأشخاص الذين يعانون من الحساسية الغذائية.

قالوا عند الجوع لا طعام ردئ ونقول زمن الطعام بدون مال ولى لغير رجعة، وذلك بسباق الشركات العالمية للسيطرة على غذاء العالم وموارده، وغزو منتجاتها كل بيت من بيوتنا, وذلك من خلال الاستحواذ على الأراضي والمنتجات والمزارع بكل بقاع الأرض مما يتيح لها التحول لشركات عملاقة تسيطر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على غذاء البشرية و دوابها بصغيرها و كبيرها، وتتحكم من قريب أو بعيد بكثير من الدول واقتصاداتها ومشروعاتها وانتاجها، وذلك لمصلحة هذه الشركات وادارتها متعددة الجنسيات.■

المحامية الأمريكية ـ الباكستانية صايمة محسن

الفنان العراقي الموسيقار نصير شمه

تعيين أول شخصية مسلمة في منصب مدعي عام في الولايات المتحدة

■ يشهد شهر فبراير وصول أول شخصية مسلمة في الولايات المتحدة إلى منصب مدعي عام بالبلاد، وهي المحامية الأمريكية ـ الباكستانية صايمة محسن، التي ستتولى منصب مدعي عام المقاطعة الشرقية لولاية ميشيغان. ونقلت صحيفة «ديترويت فري برس» اليومية، الأوسع انتشارا في ميشيغان، عن مسؤولين أمريكيين وشخصيات من المجتمع المسلم قولهم إنه في 2 فبراير، ستتولى محسن 52 عاما ، منصب المدعي العام للولايات المتحدة للمنطقة الشرقية من ميشيغان، بعد أن يتنحى المدعي الحالي للمنطقة ماثيو شنايدر وحتى الآن، تشغل محسن منصب المساعد الأول لماثيو شنايدر. صايمه محسن ولدت في باكستان، لكنها عملت لعقود في القطاع القضائي للولايات المتحدة، ومنذ العام 2002 ، تعمل في مكتب المدعي العام الأمريكي بصفتها مهاجرة مسلمة من أصل آسيوي. وبوصولها إلى منصب المدعي العام للمقاطعة الشرقية لولاية ميشيغان ستجلب محسن التنوع إلى منصب مهم مسؤول عن إنفاذ القانون في هذا الجزء من الولاية. وقالت وزارة العدل في بيان صحفي، إعلانا عن تعيين محسن في المنصب الجديد، إن الأخيرة «خدمت في وحدة مكافحة الجريمة المنظمة والعنف، وفريق عمل المخدرات ووحدة الجرائم العامة، وجميعها قطاعات تابعة لمكتب المدعي العام الأمريكي. بدورها، اعتبرت محسن التعيين «شرفا عظيما» من جهتهم، احتفى عدد من قادة المجتمع الإسلامي في الولايات المتحدة بتعيين صايمة محسن، في منصب مدعي عام بالبلاد .وعلق جايدر عباس، المحامي في مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية قائلا: «لا أعتقد أنه كان هناك يوما، مدع عام أمريكي مسلم».

تكريم دولي للموسيقار نصير شمه

■ سجل الموسيقار العراقي الكبير نصير شمة، نصرا جديدا، حيث حصل مؤخرا على تكريم عالمي يضاف الى تكريماته العديدة، فقد جرى اختياره منذ عدة اسابيع من قبل المنظمة الهولندية الدولية كواحد من الشخصيات العالمية الأكثر تأثيرا في الحرية وحماية حقوق الإنسان والسلام العالمي عام 2020 وقالت المنظمة في بيانها ان هذا التكريم جاء تقديرا لجهوده واسهاماته المتعددة والسباقة في فعل الخير، ودعم لدوره الحيويّ المهم واهتمامه بالقضايا الإنسانية، والسلام العالمي، وتعزيز حقوق الإنسان وحمايتها، ودعم ومساندة اللاجئين والنازحين، ونشر سبل العدالة والديمقراطية، بالإضافة إلى جهوده المستمرة التي لا تنضب من أجل تعزيز ونشر السلام من خلال عروضه الموسيقيّة الناجحة.

انتخابات نقابة الصحفيين المصريين مع استمرار حملة التوقيع على بيان رفض التطبيع

■ يجري الاستعداد لأجراء انتخابات نقابة الصحفيين المصريين في القاهرة،وقد تم فتح باب الترشيح يوم 18 فبراير، وقد تقدم من المرشحين في اليوم الاول 20 صحفيا ثلاثة منهم لمقعد النقيب وتنحصر المنافسة على ذلك المقعد بين الدكتور ضياء رشوان (النقيب الحالي ورئيس هيئة الاستعلامات) ورفعت رشاد (عضو مجلس ادارة دار اخبار اليوم) وينتخب في تلك الدورة ايضا ستة اعضاء للتجديد النصفي، كما تقرر فيها ايضا الميزانية العامه للنقابة. تتميز انتخابات النقابة بالمنافسة الشرسة بين المرشحين، وتواجه النقابة في انتخاباتها تلك شبح التأجيل استنادا الى جائحة (كورونا).

على جانب آخر تستمر حملة التوقيع على بيان رفض التطبيع مع الكيان الصهيوني التي بدأت في 17 سبتمبر الماضي في الذكرى 42 على توقيع (اتفاقيات كامب ديفيد)، وقد جاء في البيان:

تأكيدًا على مركزية القضية الفلسطينية كأولوية تتقدم قضايا الأمة العربية، وأن دعم صمود الشعب الفلسطيني هو الأساس في مواجهة الاحتلال والممارسات اللاإنسانية وغير القانونية التي تهدد الأمن الإنساني والمجتمعي لشعب فلسطين.

دشن عدد من الصحفيين المصريين أعضاء الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين حملة لجمع التوقيعات على بيان رفض التطبيع مع الكيان الصهيوني ؛ تأكيدًا على التزامهم بقرارات جمعياتهم العمومية المتتالية بحظر التطبيع النقابي والمهني والشخصي مع الكيان الصهيوني، الذي أتخذته النقابة عقب توقيع اتفاقية كامب ديفيد في 17 سبتمبر 1987 التي تحل اليوم الذكري 42 علي توقيعها . معلنين في الوقت ذاته استمرار حملة جمع التوقيعات التي انطلقت قبل شهر من الآن حيث توالت ردود الفعل الإيجابية في مبادرة لفيف من الصحفيين المنتمين لمختلف الأجيال النقابية للإنضمام إليها وهي المبادرة التي أثمرت عن إلتفاف أكثر من 500 صحفي حول مضمون البيان تلاها انضمام 200 صحفي آخرين خلال الأيام التالية لاطلاق الحملة، وقد وصل الآن الى أكثر من ألف صحفي.

دراسة: لقاح فايزر فعال فيما يبدو ضد سلالة كورونا المكتشفة في بريطانيا

■ أظهرت نتائج فحوص مختبرية أن لقاح كوفيد ـ 19 الذي توصلت له شركتا فايزر وبيونتك سيقي على الأرجح من السلالة الأشد عدوى من فيروس كورونا والتي اكتشفت في بريطانيا وانتشرت حول العالم.وتستند النتائج المبشرة إلى تحليل عينات من دم المشاركين في التجارب وتحليل مكثف مقارنة بالتحليلات التي نشرتها شركة فايزر الأمريكية منذ اسابيع. يذكر ان شركة فايزر كانت قد صرحت إن دراسة مختبرية مشابهة أظهرت أن اللقاح فعال ضد تحور أساسي واحد يُسمى «إن 501 واي»، والذي رُصد في السلالتين الجديدتين المكتشفتين في بريطانيا وجنوب أفريقيا «رويترز».

واحة الحصاد

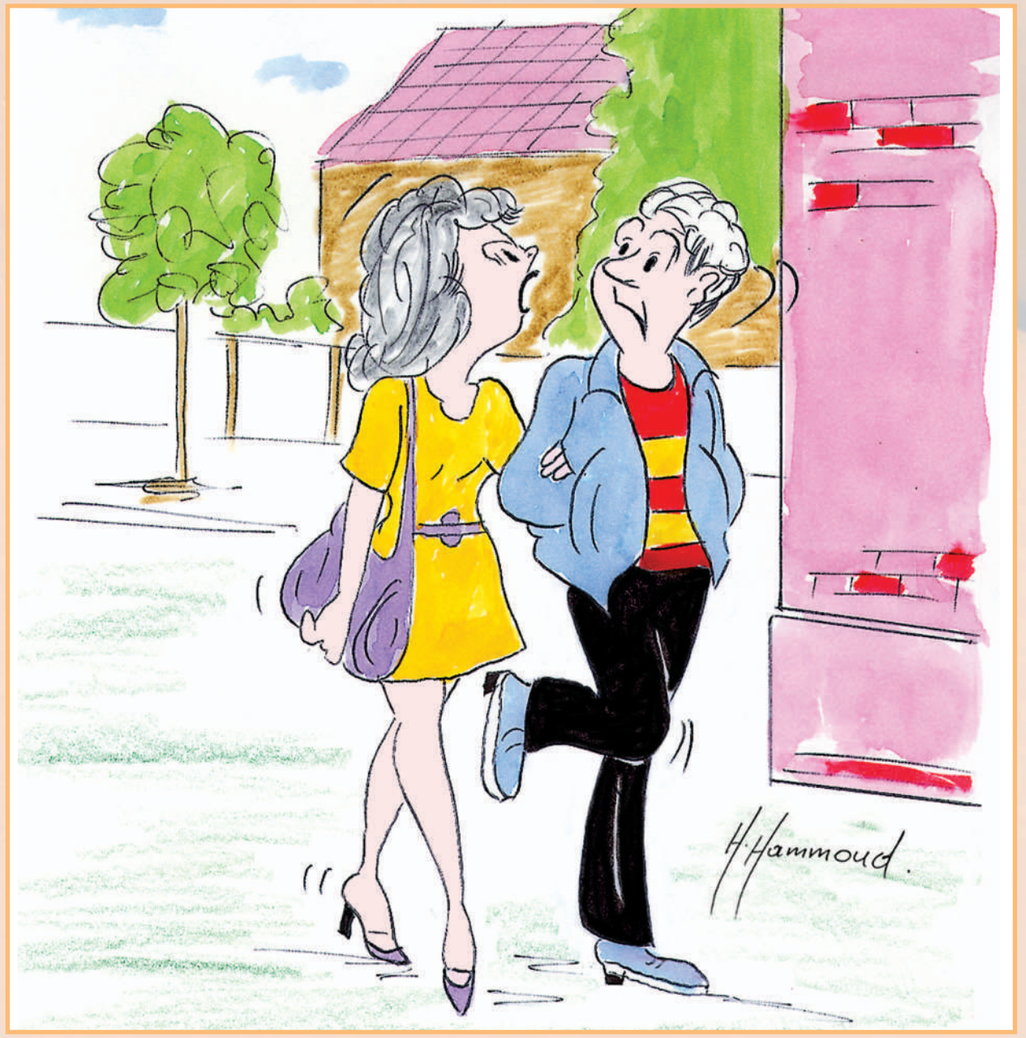

غريب..! كل ما تزورنا ماما بتتحرك عندك هواية المشي!؟

بريشة: حسين حمّود

أقوال

■ كيف استطيع ان افسرّ نجاح الذين لا احبهم لو لم اكن اؤمن بالحظ!
جان كوكتو

■ اذا شئت ان تكون حكيماً فلا تشته كل ما ترى، ولا تصدق كل ما يُقال، ولا تقل كل ما تعلم، ولا تفعل كلّ ما تستطيع.
لوبون

■ تعلم من النمل اصول الكسب، ومن الحية الحكمة، ومن الحمام الوداعة، ومن الجمل القناعة، ومن الديك الاصباح المبكر، ومن الزهر البشاشة، ومن الاسد الشجاعة، ومن الاغصان الرقة واللين.
حكمة هندية

■ ننسى اخطاءنا عندما نعترف بها لغيرنا.. والمصيبة ان الغير لا ينسى.
وليم جيلبرت

■ اذكى الازواج وألطفهم معشراً هو الذي ينادي زوجته مهما بلغ بها العمر: «يا صغيرتي».
كابو

■ في الزواج ليس هناك سوى يومين جميلين: يوم دخول القفص ويوم الخروج منه!
كابت ساخر

■ ان تعرف كيف تروق للناس يعني ان تعرف كيف تخدعهم.
اتيين راي

اختبر معلوماتك

اختر الجواب الصحيح

١ـ من هو صاحب لقب: «شاعر النيل»:
علي محمود طه ـ حافظ ابراهيم ـ ام احمد رامي؟

٢ـ من هي الملكة التي حكمت مصر (٨٠) يوما وماتت قتلا؟
كليوباترا ـ ام شجرة الدر؟

٣ـ هو غير العنب ينبت على شكل عنقود. انه:
الزعرور ـ البن ـ ام الكستنة؟

٤ـ المركز الرئيسي لمنظمة الصحة العالمية يقع في:
جنيف ـ نيويورك ـ ام في باريس؟

٥ـ من القائل: «انا افكر اذن انا موجود»
اديسون ـ باستور ـ ام ديكارت؟

٦ـ نهر اوروبي اطلق عليه لقب: «نهر العواصم». انه:
اللوار ـ الدانوب ـ ام الغارون؟

٧ـ ملكة فرنسا «ماري انطوانيت» هي زوجة:
لويس الرابع عشر ـ لويس الخامس عشر ـ ام لويس السادس عشر؟

٨ـ ما الاسم الدخيل بين هذه الاسماء؟
الاخطل ـ الفرزدق ـ ابو تمام ـ جرير؟

كلمة السر

كلمة السر: ٧ احرف: صاحب هذه الكلمات

ـ جميع هذه الكلمات مدونة داخل المربعات.
ـ لا يشطب الحرف الا مرة واحد فقط.
ـ الحروف غير المشطوبة تؤلف كلمة السر.

ـ السياسي الناجح هو الذي يعرف متى يختفي، ومتى يظهر، ومتى يتكلم، ومتى يسكت، ومتى يحارب، ومتى يهادن.

ـ أطول الوزارات عمراً هي التي لا تفعل شيئاً.

ـ الامة بلا ذاكرة لانها تصفح عن المسيء اليها بالسرعة التي تنكر بها جميل المحسن.

ـ السياسي المنبوذ اليوم قد يكون رجل الساعة في الغد.

ـ حين تصل المعارضة الى كراسي الحكم، تنسى لماذا عارضت.

ا	ب	ا	ا	هـ	ب	ر	ك	ن	ت	ي	ت	ل	ا	ب	و
ا	ل	ا	ل	ب	ر	ا	ح	ي	ى	ت	م	و	ل	م	م
هـ	ل	س	ل	ن	ل	د	غ	ل	ا	ي	ف	ا	ت	ت	ا
ل	و	م	ي	س	ا	ة	م	أ	ل	ا	ذ	ى	ى	ل	هـ
ا	ا	ا	ن	ا	ر	ج	ل	ج	ر	ا	ي	ي	س	ي	ل
ت	ل	ت	ل	ب	س	ع	ح	ت	ك	ت	خ	ي	ا	أ	و
ن	ع	ي	ف	ذ	و	ي	ة	ر	ك	ت	ا	ل	ن	ا	م
س	ن	ل	و	ع	ي	ذ	ة	ل	ف	س	ت	هـ	ع	ل	ت
ا	ا	م	أ	م	ل	ز	م	ي	ي	ي	ا	ي	م	م	ى
ا	ل	ا	ط	ر	هـ	ظ	ي	ى	ت	م	و	ع	ر	ع	ي
م	ذ	و	ة	ض	ر	ا	ع	م	ل	ا	ر	ف	ا	س	هـ
ي	س	ا	ل	ت	ك	س	ي	ى	ت	م	و	ف	ا	ن	ا
هـ	يء	م	ك	ح	ل	ا	ي	س	ا	ر	ك	ى	ل	ا	د
ا	ت	ا	ر	ز	ا	و	ل	ا	ر	ت	ض	ر	ا	ع	ن
ة	ع	ا	س	ل	ا	ل	ي	م	ج	ن	و	ك	ي	د	ق
س	ح	ف	ص	ت	ل	ص	ت	ن	ي	ح	ا	ء	ي	ش	و

نوادر

● كيف يعجبون بالجمال ●

○ الاميركي: اذا بهره الجمال، توقف عن مضغ «العلكة» وارسل صفيراً يعبّر به عن الاعجاب، وقد لا يتورع عن ان يتقدم للحسناء ويرفع ذقنها الى الاعلى بأصابعه ويتأمل وجهها حتى ولو لم يكن يعرفها.

○ الانكليزي: يظل بارداً في اول الامر، لا يحسّ بالجمال وكأنه صنم، ثم يحملق في صمت، فاغراً فاه ويهتف «يا إلهي.. يا له من جمال..» ويتابع سيره بكل هدوء.

○ الايطالي: يتأمل الحسناء وكأنها لوحة فنية، ثم يرفع اصابعه الى وجهه ممصمصا، دلالة الاعجاب، وقد يجثو على احدى ركبتيه، مرتلاً قصيدة من الشعر او مترنما باغنية حب.

○ الفرنسي: اذا شاهد الجمال، تهلل وجهه، واشرقت اساريره، وغمزت عيناه، واهتزت ساقاه بالرقص... ثم يرسل قبلة في الهواء ملوحا باطراف اصابعه.

○ العربي: اذا شاهد الجمال او رأى احدى الحسناوات، يزيد من ميل طربوشه على جبينه حتى يغطي حاجبيه، ويمسك بطرفي شاربيه ويبرمهما في زهو واستغراق، هذا على ايام الطربوش، اما في ايامنا هذه، فقد يغازلها بكلمة رقيقة او باغنية تعظم الجمال. واذا كان لبنانيا فانه يغمز باحدى عينيه هاتفاً: «سبحان الله.

● تشارلز داروين ●

■ عالم الطبيعة الانكليزي وصاحب النظرية المشهورة: «التطور في الاجناس» كان فاشلاً في دراسته، وكان في بداية حياته انساناً فاشلا مستهتراً يقضي وقته مع الكلاب وفي صيد الفئران وجمع الحشرات، حتى ان والده قال له ذات يوم: «ان وجودك عار على نفسك وعلى اسرتك!»

● خير الازواج ●

■ سُئلت الكاتبة الروائية الشهيرة «أغاثا كريستي»: من هو خير الازواج؟»
فأجابت: «ان العالم الاثري هو خير زوج تحظى به امرأة، لانها كلما تقدمت هي في السن، كلما ازداد هو شغفاً واهتماماً بها..!»

Bliss
PHARMACY AND CLINIC

Prescribing Pharmacist	كتابة وصفات طبية
Private Prescription	وصفات طبية خاصة
Clinical Nutritionist	أخصائي تغذية
IV Nutrition Drip	التغذية الوريدية
Flu and Travel Vaccination	لقاح ضد الانفلونزا ولقاحات للسفر
Blood Tests	فحص الدم
Aesthetics	طب التجميل
Manicure and Pedicure	باديكير و مانكير وصبغ الاظافر
Laser Hair Removal	إزالة الشعر بالليزر
Beauty Therapy	التجميل والمساج
Yoga and Pilates	اليوغا والبيلاتيز

HEALTH • BEAUTY • LIFE

We stock a large range of Premium vitamins, supplements and natural products as well as many high-end skincare brands
تتوفر لدينا مجموعة كبيرة من الفيتامينات والمكملات الغذايه والمنتجات الطبيعية. كما لدينا العديد من المنتجات الراقية للعناية بالبشرة

Open 9am - Midnight (Monday to Saturday)
Open 10am - 10pm on Sundays
150 Marylebone Road, London, NW1 5PN

0207 487 5691

www.blisslife.co.uk
marylebone@blisslife.co.uk

Bliss
PHARMACY AND CLINIC

Prescribing Pharmacist	كتابة وصفات طبية
Private Prescription	وصفات طبية خاصة
Clinical Nutritionist	أخصائي تغذية
IV Nutrition Drip	التغذية الوريدية
Flu and Travel Vaccination	لقاح ضد الانفلونزا ولقاحات للسفر
Laser Hair Removal	إزالة الشعر بالليزر
Beauty Therapy	التجميل والمساج

HEALTH • BEAUTY • LIFE

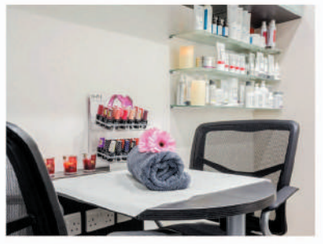

We stock a large range of Premium vitamins, supplements and natural products as well as many high-end skincare brands
تتوفر لدينا مجموعة كبيرة من الفيتامينات والمكملات الغذايه والمنتجات الطبيعية. كما لدينا العديد من المنتجات الراقية للعناية بالبشرة

Open 9am to 10pm (Monday to Saturday)
Open 12pm to 9pm to Sundays
107-109 Gloucester Road, London, SW7 4SS

0207 373 4445

www.blisslife.co.uk
gloucesterroad@blisslife.co.uk

كتبها
أنسي الحاج

أخافُ أن أعرف

أجمَلُه ما بين الجهل والمعرفة .أكثرُه ألَماً وأشدُّه اعتصاراً.
لا أعرف ما ستقرّرين .عيناكِ اللتان في لون ثيابكِ ثابتتان في دوختي ثباتَ الحيرة المنقذة في العذاب.
كذابٌ هذا الصقيع، كذابٌ ذلك البحر التافه، كذابٌ أيُّ انهماكٍ كان: سوف أنساك. كذابٌ أنا، لو كان لي أنْ أنساكِ لما فعلتُ لأنّكِ، أنتِ أيضاً، لستِ لي. وكيف أنسى مَن ليست لي!
كان يكون مريحاً لو.
لكنّي كذابٌ أيضاً. أرْفُضُ هذه الراحة. يَحْدث ما يحدث وما لا يجب أن يحدث وما لا يحدث. أحبّيني لا لأني أُحَبّ، بل لأن عينيكِ تُحبّان طريقتهما في إحراقي.
يوم ولدت كنتُ كبيراً. أمس كنت صغيراً يومَ كبَرت. ولولا الضوء لما رأيتُ من عمري سوى الرعشة. صغيراً كالبداية، وأنتِ كبيرةٌ ككلّ ما يجعل النهايات تبدأ من جديد.
أنتِ لسواي، ككلّ مَنْ أحْبَبْتُ. لسواي، ككلّ ما هو لي.
قَدَرَ المشتهي مُقتنى غيره، قَدَرُحامل الفتنة، قَدرُ الزائرِ الغريب، قَدَرُ ناشر الاضطراب والحريّة، قَدَرٌ جميلٌ هو قَدَري.
وبين الجهل والمعرفة مصيري وأخاف أن أعرف ما سيصير.
أجْمَلُه ما بين الجهل والمعرفة، تُدلّكَ أحلام القَلَق وتغدر بك.
والويل لك من جمال تنكيل تلك الحَيرة، والويل لك من اليقين!
فأنتَ مولودٌ تحت التاج والسُمّ. ■

كنا نحسب الفراغ نبيذاً

■ كان صوتك هضبة تُغطّيها المياه
وكانت مراكبنا سوداً
أراضينا بوراً
شموعنا صخوراً.
كُنّا نُخطئ بالصغيرة والكبيرة
نحسب الفراغ نبيذاً
والرملَ على الرمل: القمحَ والذهب.
وكُنّا نَحفظ الأوراق لنَحفظ
ونَعبد الآثار لنعبد
ونُخبّئ لنُخبّئ،
حتّى جئت
فلم ننظر إلى ما كان
غير نظرة!
ولمّا البحارُ تشقّقت
وأشَعّ صوتك
هَوَينا إليه كمياه.
صرت المياه
صرت المطر
ونزل الوقت
نُزول الرعاة من الهضبة. ■

في ذكرى رحيل الأديب الشاعر (أنسي الحاج) الذي أثرى الأدب العربي المعاصر بأعمال أدبية وشعرية متميزة.

تنشر «الحصاد» مقتطفات من شعره.

ولد الشاعر في ٢٧ يوليو (تموز) ١٩٣٧ وتوفى في ١٨ فبراير (شباط) ٢٠١٤